جامعة عباس لغرور – خنشلة
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الانسانية
شعبة التاريخ

تخصص: تاريخ المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية

الرقم التسلسلي: .....

السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر 1830 – 1900م

المؤسسات الدينية المسيحية نموذجا

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في شعبة: التاريخ، تخصص: تاريخ المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية

إعداد الطلبة:

- وداد العايش
- منال حمزاوي

إشراف الأستاذ:

د/ زيد طايبي

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
عبد القادر رحمون	أستاذ محاضر أ	رئيسا
زيد طايبي	أستاذ مساعد أ	مشرفا ومقررا
نوي بن مبروك	أستاذ التعليم العالي	مناقشا

الموسم الجامعي: 1446-1447هـ /2025-2026م

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الشكر والعرفان

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، الذي وفقنا لإتمام هذا العمل، فله سبحانه الشكر أولاً وآخراً، امتثالاً لقوله صلى الله عليه وسلم: "من لا يشكر الناس لا يشكر الله".

نتقدم بخالص عبارات الشكر والتقدير إلى الأستاذ المشرف الذي تفضل بقبول الإشراف على هذه المذكرة، ولم يبخل علينا بتوجيهاته القيمة وملاحظاته السديدة ونصائحه التي كان لها الأثر الكبير في إنجاز هذا العمل.

كما نتوجه بجزيل الشكر والاحترام إلى أعضاء لجنة المناقشة الموقرة على تفضلهم بقراءة هذه المذكرة وتقويمها وإثرائها بملاحظاتهم العلمية القيمة.

ونتقدم كذلك بخالص الامتنان إلى جميع أساتذة كلية العلوم الإنسانية بجامعة الذين ساهموا في تكويننا العلمي والمعرفي طوال سنوات الدراسة.

ولا يفوتنا أن نتقدم بالشكر إلى موظفي المكتبة وكل من قدم لنا العون والمساعدة سواء من قريب أو بعيد.

وفي الختام نسأل الله تعالى أن يجزي الجميع خير الجزاء وأن يجعل ما قدموه في ميزان حسناتهم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الإهداء

إلى من أوصانا بهما الرحمن حين قال: "واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا..."

إلى من كانا سبباً في نجاحي ووصولي إلى هذه المرحلة، أبي العزيز وأمي الغالية حفظهما الله وأدام فضلهما عليّ، فبفضلهما تعلمت معنى الاجتهاد والصبر، ومن دعائهما استمددت القوة والعزيمة.

إلى من شاركوني تفاصيل حياتي وساندوني في لحظات الضعف قبل الفرح والحزن، إخوتي وأخواتي الأعزاء الذين كانوا خير سند ورفقة.

وإلى صديقاتي وكل من رافقني في مشواري الدراسي، ممن تركوا أثرًا جميلًا في نفسي وكانوا مصدر تشجيع ودعم طوال هذه المسيرة.

كما أهدي هذا العمل إلى كل أفراد عائلتي الكريمة الذين أحاطوني بالمحبة والدعاء، وإلى كل من ساهم بكلمة طيبة أو نصيحة صادقة في إنجاز هذا العمل.

أهدي هذا الجهد المتواضع بكل امتنان وتقدير، وبكل حب ووفاء.

الملخص

يدرس هذا البحث السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر خلال الفترة الممتدة بين 1830 و1900، مع التركيز على المؤسسات الدينية المسيحية باعتبارها نموذجًا لتطبيق هذه السياسة الاستعمارية. وقد سعت الإدارة الاستعمارية الفرنسية إلى توظيف التعليم كوسيلة للهيمنة الفكرية والثقافية، من خلال نشر اللغة والثقافة الفرنسية وإضعاف التعليم العربي الإسلامي التقليدي، مستعينة في ذلك بالإرساليات والمؤسسات الدينية المسيحية.

وانطلقت الدراسة من الإشكالية العامة التالية: ارتبطت السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر منذ بداية الاحتلال بمحاولات إعادة تشكيل المجتمع الجزائري ثقافيًا ودينيًا، وذلك من خلال توظيف المؤسسات الدينية المسيحية كوسيلة لخدمة المشروع الاستعماري، وانطلاقًا من ذلك تتمحور إشكالية هذا البحث حول دراسة طبيعة السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر وأهدافها، والكشف عن الدور الذي اضطلعت به المؤسسات الدينية المسيحية في تنفيذ هذه السياسة خلال الفترة الممتدة بين 1830 و1900 ومدى انعكاس ذلك على البنية التعليمية والدينية للمجتمع الجزائري.

واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي في وصف السياسة التعليمية الفرنسية وتحليل أهدافها ووسائل تنفيذها، كما تم توظيف المنهج المقارن للمقارنة بين التعليم العربي الإسلامي التقليدي والتعليم الاستعماري الفرنسي، إضافة إلى اعتماد المنهج التفسيري لفهم أبعاد هذه السياسة التعليمية ونتائجها على المجتمع الجزائري ثقافيًا ودينيًا.

وقد توصل البحث إلى أن السياسة التعليمية الفرنسية لم تكن مجرد سياسة تربوية، بل شكلت أداة استعمارية استهدفت طمس الهوية الوطنية والدينية للجزائريين، كما لعبت المؤسسات الدينية المسيحية دورًا محوريًا في تنفيذ المشروع الاستعماري عبر التعليم والتبشير، غير أن تمسك الجزائريين بالتعليم العربي الإسلامي والمحافظة على مقوماتهم الثقافية والدينية أسهم في مقاومة هذه السياسة والحد من نجاحها في القضاء على الشخصية الوطنية الجزائرية.

Résumé

Cette étude examine la politique éducative française en Algérie entre 1830 et 1900, en mettant l'accent sur les institutions religieuses chrétiennes, considérées comme un modèle d'application de cette politique coloniale. L'administration coloniale française a cherché à utiliser l'éducation comme un moyen d'hégémonie intelletuelle, en diffusant la langue et la culture française et en affaiblissant l'enseignement arabo-islamique traditionnel, en s'appuyant pour cela sur les missions et les institutions religieuses chrétiennes.

Cette étude part de la problématique générale suivante : depuis début de l'occupation, la politique éducative française en Algérie s'est accompagnée de tentatives visant à remodeler la société algérienne sur les plans culturel et religieux, en utilisant les institutions religieuses chrétiennes comme un moyen au service du projet colonial. Partant de la problématique de cette recherche s'articule autour de l'étude de la nature et des objectifs de la politique éducative française en Algérie, ainsi que de la mise en lumière du rôle joué par les institutions religieuses chrétiennes dans la mise en oeuvre de cette politique entre 1830 et 1900 et des ses répercussions sur les structures éducatives et religieuses de la société algérienne.

L'étude s'est appuyée sur une approche descriptive et analytique pour décrire la politique éducative française et analyser ses objectifs ainsi ses moyens de mise en oeuvre. Une approche comparative a également été utilisée pour comparer l'enseignement colonial français, tandis qu'une approche interprétative a été adoptée pour comprendre les dimensions de cette politique éducative et ses conséquences sur la société algérienne sur les plans culturel et religieux.

La recherche a montré que la politique éducative française n'était pas seulement une politique pédagogique, mais qu'elle constituait un outil coloniale visant a effacer l'identité nationale et religieuses chrétiennes ont également joué un rôle central dans la mise en oeuvre du projet colonial par le biais de l'éducation et de l'évangélisation, Cependant, l'attachement des Algériens a l'enseignement arabo-islamique et la préservation de leurs fondements culturels et religieux on contribué à résister à cette politique et a limiter son succés dans l'effacement de l'identité nationale algérienne.

المقدمة

شهدت الجزائر خلال الفترة الممتدة مابين 1830 - 1900 تحولات عميقة مست البنية السياسية والعسكرية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية، وقد سعت الإدارة الإستعمارية إلى ترسيخ وجودها من خلال إنتهاج سياسة تعليمية خاصة استهدفت التحكم في التعليم وتوجيهه بما يخدم مصالحها الإستعمارية، حيث تعد السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر من أبرز الوسائل التي اعتمدها الإستعمار لإعادة تشكيل المجتمع الجزائري وفق النظرة الإستعمارية في الجزائر، وفي هذا الصدد لعبت المؤسسات الدينية المسيحية دورا محوريا في تطبيق هذه السياسة، حيث سعت إلى نشر اللغة الفرنسية والقيم المسيحية، ومحاولة طمس الهوية الدينية والثقافية للسكان المحليين.

وقد ارتبطت هذه المؤسسات ارتباطا وثيقا بالإدارة الإستعمارية، إذ حظيت بدعم مادي ومعنوي مكنها من التوسع والإنتشار خاصة في المناطق الحضرية وبعض المناطق الريفية، كما عملت على جذب فئات معينة من المجتمع الجزائري خصوصا الأطفال عبر تقديم خدمات تعليمية واجتماعية مما جعلها وسيلة فعالة لتحقيق أهداف الإستعمار في الإدماج الثقافي والهيمنة العسكرية.

وعليه يسعى هذا البحث إلى دراسة طبيعة السياسة التعليمية الفرنسية خلال القرن التاسع عشر مع التركيز على دور المؤسسات الدينية المسيحية كنموذج تطبيقي لهذه السياسة، من خلال تحليل أهدافها ووسائلها ونتائجها، ومدى تأثيرها على المجتمع الجزائري من الناحية الدينية والثقافية والتعليمية.

دوافع اختيار الموضوع:

- الإهتمام الشخصي بتاريخ السياسات التعليمية وتأثيرها على البنية الإجتماعية.
- التعمق في دراسة تاريخ التعليم والمؤسسات الدينية المسيحية.
- الرغبة في دراسة العلاقة بين الدين والتعليم والسياسة في السياق الإستعماري.
- تسليط الضوء على أن الإحتلال لم يكن عسكريًا فقط بل استهدف العقل والهوية عبر التعليم.
- دراسة الدور الوظيفي للمؤسسات المسيحية مثل الآباء البيض وهل كانت مجرد مؤسسات دينية أم أذرعًا تعليمية لخدمة الإدارة الإستعمارية.

أهمية إختيار الموضوع:

فقد ارتأينا في دراستنا هذه إلى إعطاء أهمية لهذا الموضوع و التي تكمن في

- كونه يعالج السياسة التعليمية الفرنسية باعتبارها إحدى الركائز الأساسية التي اعتمد عليها الاستعمار الفرنسي في تثبيت وجوده بالجزائر، وإحكام سيطرته الفكرية والثقافية على المجتمع الجزائري.
- مساهمته في دراسة البعد الثقافي الفكري للاستعمار الفرنسي بعيدا عن التركيز على الجوانب العسكرية والسياسية فقط.

يساهم في إثراء الدراسات التاريخية المتعلقة بتاريخ التعليم والمؤسسات التبشيرية في الجزائر خلال المرحلة الاستعمارية.

أهداف الموضوع:

- إبراز تأثير السياسة الإستعمارية الفرنسية على المجتمع الجزائري، ودراسة مواقف وردود فعل النخبة الجزائرية تجاه الأفكار الإستعمارية، مع تسليط الضوء على الجهود المبذولة لطرح بدائل فكرية وثقافية ساهمت في الحفاظ على الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري.
- إبراز الدور الوظيفي للمؤسسات الدينية المسيحية في المنظومة التعليمية.
- معرفة مدى نجاح أو فشل هذه السياسة التعليمية في خلق صراع بين الثقافة الأصيلة والثقافة الوافدة.

الإشكالية:

ارتبطت السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر منذ بداية الاحتلال بمحاولات إعادة تشكيل المجتمع الجزائري ثقافيا ودينيا، وذلك من خلال توظيف المؤسسات الدينية المسيحية كوسيلة لخدمة المشروع الاستعماري، وانطلاقا من ذلك تتمحور إشكالية هذا البحث حول دراسة طبيعة السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر وأهدافها، والكشف عن الدور الذي اضطلعت به المؤسسات الدينية المسيحية في تنفيذ هذه السياسة خلال الفترة الممتدة بين 1830 و1900 ومدى انعكاس ذلك على البنية التعليمية والدينية للمجتمع الجزائري.

وتتفرع عن هذه الإشكالية عدة تساؤلات فرعية:

- ما واقع الأوضاع الثقافية والتعليمية في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي؟
- كيف ساهمت الزوايا والطرق الصوفية في الحفاظ على التعليم العربي الإسلامي خلال فترة المقاومات؟
- ما الأهداف التي سعت الإدارة الاستعمارية الفرنسية إلى تحقيقها من خلال سياستها التعليمية؟
- كيف وظفت فرنسا المؤسسات الدينية المسيحية لخدمة مشروعها الاستعماري في الجزائر؟
- ما الوسائل التي اعتمدتها المؤسسات المسيحية لنشر التعليم الفرنسي والفكر التبشيري؟

المنهج:

اعتمدت هذه الدراسة على مجموعة من المناهج العلمية المتكاملة حيث تم توظيف المنهج الوصفي التحليلي في وصف السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر وتحليل أهم أهدافها ووسائل تنفيذها خلال الفترة الممتدة ما بين 1830 - 1900 مع ابراز الدور الذي لعبته المؤسسات الدينية المسيحية في خدمة المشروع الإستعماري الفرنسي، كما تم الإعتماد على المنهج الإحصائي من خلال الإستناد إلى الإحصائيات المتعلقة بالمؤسسات الدينية والتعليمية للكشف عن واقعها وتطورها خلال فترة الإحتلال الفرنسي.

إضافة إلى ذلك تم توظيف المنهج المقارن للمقارنة بين التعليم العربي الإسلامي التقليدي والتعليم الإستعماري الفرنسي، فضلا عن اعتماد المنهج التفسيري لفهم أبعاد السياسة التعليمية الفرنسية وتفسير دوافعها ونتائجها على المجتمع الجزائري ثقافيا ودينيا.

الخطة:

قمنا بتقسيم البحث الى ثلاثة فصول مترابطة و متكاملة

حيث تناولنا في الفصل الأول الأوضاع الثقافية في الجزائر مطلع الإحتلال وأدرجنا ضمنه مبحثين الأول بعنوان قبل الإحتلال 1800 - 1830 أما المبحث الثاني فتطرقنا خلال فترة المقاومات أما الفصل الثاني جاء بعنوان واقع السياسة التعليمية الفرنسية 1830 - 1870 احتوى على ثلاثة مباحث أولهم جاء بعنوان أهداف السياسة التعليمية، ويليه المؤسسات التعليمية الفرنسية في الجزائر في المبحث الثاني أما المبحث الثالث فعرضنا من خلاله المؤسسات الدينية المسيحية في الجزائر.

وأخيرا تطرقنا إلى الفصل الثالث تحت عنوان نتائج السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر 1870 - 1900. وقمنا بتقسيمه إلى أربعة مباحث، حيث تطرقنا في المبحث الأول إلى الزوايا بين وظائف التعليم وديناميكيات المقاومة الثقافية والمبحث الثاني الذي تناول البنية التعليمية الفرنسية- الأهداف والفوارق الهيكلية-

وقد خصصنا المبحث الثالث في مشاركة الجزائريين في المدارس المختلطة بين الإكراه والتكيف وأخيرا المبحث الرابع المؤسسات المسيحية وموقعها في الحياة الاجتماعية في حياة الأهالي .

المصادر والمراجع:

اعتمدت هذه الدراسة على مجموعة متنوعة من المصادر والمراجع العربية والفرنسية التي أسهمت في إثراء الموضوع واحاطته بجوانبه المختلفة ، ففي الفصل الأول تم الإعتماد على مؤلفات عديدة أهمها أبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي بجميع أجزاءه إلى جانب حمدان بن عثمان خوجة في كتابه المرآة استفدت منه في المؤسسات الدينية الجزائرية ، أما فيما يتعلق بالفصل الثاني فقد اعتمدنا على كتاب عبد القادر حلوش المعنون بالسياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر الذي أفدت منه في المدارس العربية الفرنسية. كذلك اعتمدنا كتاب خديجة بقطاش بعنوان الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871 في المبحث الثالث المعنون بالمؤسسات الدينية المسيحية في الجزائر اما الفصل الثالث فقد تم الاعتماد على كتاب صالح فركوس المعنون بـ تاريخ الثقافة الجزائرية من العهد الفنيقي إلى غاية الإستقلال وكتاب صلاح مؤيد العقبي بعنوان الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر. لما قدماه من إبراز آثار السياسة التعليمية الفرنسية وانعكاساتها على المجتمع الجزائري .

وكذلك اعتمدنا على دراسات فرنسيةالتي حللت دور جمعية الآباء البيض وكذلك أفدنا منها في عنوان النشاط التنصيري في عهد الكاردينال لا فيجري وكيف استخدموا المدارس كواجهة للنشاط الديني أهمها شارل روبير أجيرون الجزائريون المسلمون وفرنسا.

وهناك مراجع أخرى لا تقل أهمية تم ذكرها في قائمة البيبليوغرافيا

الصعوبات:

رغم الجهود المبذولة في إنجاز هذه المذكرة، فقد واجهتنا جملة من الصعوبات الموضوعية والمنهجية التي اعترضت مختلف مراحل البحث ومن أبرزها:

- عدم التوازن في المادة العلمية بين فصول الدراسة، إذ توفرت المعلومات الخاصة بالفصلين الثاني والثالث مقارنة بالفصل الأول الذي اتسمت مادته العلمية بالندرة النسبية.

- صعوبة التوثيق الدقيق لبعض المراجع خاصة التي افتقرت إلى بيانات النشر كاملة أو المعلومات البيبليوغرافية المفصلة، مما صعب عملية التوثيق الأكاديمي.

- تشابه محتوى العديد من المراجع وتكرار الأفكار نفسها، الأمر الذي استدعى بذل جهد إضافي في تنظيم المادة العلمية وانتقاء المعلومات المناسبة للبحث.

الفصل الأول:

الاوضاع الثقافية في الجزائر بداية الاحتلال الفرنسي

المبحث الأول: واقع النشاط الثقافي قبل الإحتلال الفرنسي

المبحث الثاني: واقع النشاط الثقافي خلال فترة المقاومات الشعبية

1

الأوضاع الثقافية في الجزائر بداية الإحتلال الفرنسي

شكلت الأوضاع الثقافية في الجزائر بداية الإحتلال الفرنسي سنة 1830 الإطار العام الذي تحركت ضمنه مختلف السياسات الإستعمارية ومن بينها السياسة التعليمية التي وسعت فرنسا من خلالها إلى إحداث تغييرات عميقة في البنية الثقافية للمجتمع. وللوقوف على طبيعة هذه الأوضاع يدرس هذا الفصل واقع النشاط الثقافي في الجزائر خلال الإحتلال الفرنسي ثم تطور هذا الواقع خلال فترة المقاومات الشعبية. وعليه قسم هذا الفصل إلى مبحثين:

المبحث الأول يتضمن واقع النشاط الثقافي،

بينما يدرس المبحث الثاني واقع النشاط الثقافي في الجزائر خلال المقاومات الشعبية.

1.1 المبحث الاول: واقع النشاط الثقافي قبل الإحتلال الفرنسي

تميزت الجزائر خلال العهد العثماني بحياة ثقافية نشطة ارتبطت أساسا بالمؤسسات التعليمية و الدينية التقليدية التي أسهمت في نشر المعرفة والمحافظة على مقومات الهوية الدينية والثقافية للمجتمع الجزائري. وفي هذا الإطار يسعى هذا المبحث إلى معرفة واقع النشاط الثقافي في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي من خلال إبراز هذا النشاط ومؤسساته التي كان لها دور في دعمه واستمراره.

1.1.1 المطلب الاول: التعليم والمراكز الثقافية

تشير المصادر التاريخية أن التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني عرف انتشارا ملحوظا إذ لم يقتصر على المدن فحسب بل امتد ليشمل القرى والجبال وحتى المناطق الصحراوية. إذ أن التعليم ارتبط بالأفراد والعائلات والمؤسسات الخيرية بينما ظل دور الدولة العثمانية هامشيا لعدم وجود مؤسسات حكومية خاصة به وهنا برز دور المؤسسات غير الرسمية (الزوايا والمساجد). التي كان يتعلم بها أبناء الجزائريين اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم إلى جانب علوم متعددة في العلوم الشرعية وقواعد اللغة.(أبو القاسم سعد الله, 1998a, ص.313)

رغم أن السلطة العثمانية ركزت فقط على المحافظة على الاستقرار السياسي والدفاع عن الحدود وجمع الضرائب لبيت

المال ولم تتدخل بشؤون التعليم باستثناء بعض البايات مثل محمد الكبير وصالح باي، وان كانت مجهوداتهما تدخل ضمن الاعمال الخيرية ،فالتعليم في الجزائر لم يحظ بالقسط نفسه من التعمق والبحث التاريخي الذي حضيت به الاوضاع العسكرية والسياسية خلال العهد العثماني(حميد آيت حبوش, 2017, ص.26)

إلا أن التعليم انتشر وازدهر اوساط الجزائريين حيث كان تقريباً كل جزائري يعرف القراءة والكتابة حيث أقرت بعض الشهادات الفرنسية على هذا الوضع عند احتلالهم الجزائر فقد جاء على لسان الجنرال ولسن استرهازي

" ان الجزائريين الذين يحسنون القراءة والكتابة كانو في ذلك العهد أكثر من الفرنسيين الذين كانو يقرؤون ويكتبون ان 5 بالمئة من الفرنسيين كانو اميين انذاك وان الجزائر احتلتها جنود فرنسيين من طبقة جاهلة كل الجهل "

فقد كان التعليم آنذاك منتشرا انتشارا واسعا، وذالك من خلال تعدد وظائف المؤسسات التعليمية (أبو القاسم سعد الله, 2008, ص.135)

شهد الخطاب الفرنسي ترويجا واسعا لفكرة مفادها أن الجزائر خلال العهد العثماني، كانت تعيش حالة من الإنحطاط الحضاري حيث صورت على أنها تعاني من تفشي الجهل وغياب أي تنظيم تعليمي أو حركية فكرية، ووفقا لهذا التصور لم يكن بالمجتمع الجزائري آنذاك علماء وأدباء.بل أمة يغلب عليها الطابع الأمي.

غير أن هذه الادعاءات التي روّجت لها الإدارة الاستعمارية لم تكن سوى محاولة لتبرير سياستها التعليمية؛ إذ تشير الشهادات المحلية أن التعليم في الجزائر كان منتشرا انتشارا ملحوظا من خلال الزوايا والمساجد، حيث يؤكد حمدان بن عثمان خوجة في كتاب "المرآة" أن التعليم كان منتشرا في المجتمع الجزائري من خلال الكتاتيب والزوايا و التي قامت بدور أساسي في تعليم الأطفال مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن (حمدان بن عثمان خوجة, 1985, ص.119).

ومن العلماء الجزائريين الذين كتبوا في تلك المرحلة أبو القاسم الحفناوي الذي أراد أن يوضح لنا في كتابه "تعريف الخلف برجال السلف" حول تطور التعليم والعلوم فقال:

"الظاهر أن القطر الجزائري قد اجتهد قديما في طلب العلم بجميع أسبابه وأتاه من سائر أبوابه ووقف على معقوله من أصوله وفصوله وكان لعلوم وقته جامعا ولرايتها رافعا" (دبي رابح, 2002-2003, ص.18).

حيث كانت حركة الثقافة والتعليم في الجزائر منتشرة انتشارا واسعا من خلال تعدد وظائف المؤسسات التعليمية والتي أحصى عددها (صبيحة بخوش, 2008, ص.135-155) كما يلي:

المنطقة	المدارس	الزوايا	المساجد
قسنطينة	80	16	---
تلمسان	50	---	50
العاصمة	229	6	109

إحصائية المؤسسات التعليمية التقليدية في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي حسب المناطق

فالتعليم الذي كان سائداً في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي هو التعليم العربي الإسلامي الذي يقوم على التعاليم الدينية التي كانت أساس التعليم، حيث كان حفظ القرآن الكريم يمثل عمدة التعليم الابتدائي، ومعرفة بعض علوم القرآن تمثل أساس التعليم العالي (عبد القادر حلوش, 2010, ص.27).

ففي التعليم الابتدائي كان الطفل يبدأ بحفظ القرآن الكريم كاملاً أو أجزاء منه إلى جانب تعلم مبادئ القراءة والكتابة واكتساب أساسيات الدين وحفظ المتون والنصوص الضرورية، وقد استمرت الكتاتيب بدورها في هذا المجال(أبو القاسم سعد الله, 1998d, ص.22).

وكان الكتاب يمثل الركيزة الأساسية للتعليم الابتدائي، وغالباً ما يكون ملحقاً بالمساجد والجوامع، وقد انتشرت الكتاتيب في مختلف الأحياء وكان الكثير منها يحمل اسم الحي الذي يوجد فيه.

كما كانت بعض المدارس الابتدائية تتبع مساجد أو زوايا معينة، وكانت نفقات صيانتها أو تجهيزها تغطي عادة من عائدات الأوقاف التابعة لتلك المساجد أو الزوايا. وكان الطفل يلتحق بالكتاب في سن مبكرة غالباً ما تتراوح بين الخامسة والسادسة من عمره، وكان بإمكان التلميذ أن يواصل دراسته بعد إتمام مرحلة التعليم الابتدائي داخل المساجد أو في مدارس ملحقة بها(أبو القاسم سعد الله, 2009, ص.163)

وقد عرف هذا المستوى من التعليم ما يسمى بالتدريس بإلقاء الدروس، من النظائر حيث يتلقى الطلبة العلوم على يد الفقهاء والأئمة، تشير بعض المصادر إلى أن عدد الطلبة في هذه المرحلة بلغ حوالي 300 طالب موزعين على مختلف الاقاليم الثلاثة، وكانت الدروس المقدمة تشمل مجموعة من العلوم الشرعية واللغوية، ومن أبرزها النحو والتفسير والقرآن الكريم.

وإلى جانب الكتاتيب وجدت مراكز للتعليم العالي التقليدي كانت مرتبطة غالباً بالمساجد، حيث تلقى فيها الدروس ويتلقى الطلبة العلم تكوينهم العلمي، وقد كان التعليم في هذه المراكز يركز أساساً على علوم الأدب والفقه المالكي،(أبو القاسم سعد الله, 2009, ص.165) اضافة إلى علوم الحديث والتفسير، فضلا عن علوم الحساب والفلك الى جانب التاريخ والطب.

غير أن التعليم في تلك الفترة كان يتسم في الغالب بطابع تقليدي يعتمد على الحفظ والتلقين مع محدودية في التجديد و التطوير، ومع ذلك اسهمت هذه المؤسسات في تكوين عدد كبير من العلماء والفقهاء والمفتين والقضاة (أشرف صالح محمد سيد, 2013, ص.63-74).

2.1.1 المطلب الثاني: المؤسسات الوقفية

شهدت الجزائر خلال العهد العثماني انتشارا واسعا لمؤسسات التعليم التقليدي على غرار المساجد والمدارس والكتاتيب والزوايا التي تقوم بدور أساسي في نقل المعارف الدينية وقد تميزت هذه المؤسسات بتنظيمها لوظائف التعليم والإشراف على التلاميذ كما اعتمدت في تمويلها واستمراريتها على نظام الأوقاف الذي يشكل ركيزة أساسية في دعم النشاط التعليمي والثقافي وضمان ديمومته(عبد القادر حلوش, 2010, ص.26)

تعريف الوقف:

لغة: الوقف في اللغة الحبس يقال: وقف بقف وقفا أي حبس شيء لمنفعة شخص أو في سبيل الله (أسعد عليوان, 2007, ص.296).

اصطلاحاً: هو حبس الأصل على سبيل المنفعة أي حبس المال وصرف منافعه في سبيل الله وهو أيضا حبس العين على ملك الوقف عن طريق التمليك أو التصدق بالمنفعة على الفقراء . (محمد الأمين بوحلوفة و سفيان شبيرة, 2019, ص.76)

من أهم المؤسسات الوقفية:

أوقاف الحرمين الشريفين:

تعد أوقاف الحرمين الشريفين من أقدم المؤسسات الوقفية في الجزائر إذ يرجع تأسيسها إلى العهد العثماني حيث خصصت لها أوقاف متعددة كان ريعها يوجه إلى خدمة الحرمين الشريفين بمكة المكرمة والمدينة المنورة وقد شملت هذه الأوقاف أملاكاً وعقارات مختلفة وقفت من طرف المحسنين قصد الإسهام في تلبية احتياجات الحرمين الشريفين ودعم مرافقها الدينية وبفضل هذه الأوقاف تم ضمان مورد مالي ثابت يساهم في تمويل شؤون الحرمين الشريفين الامر الذي يعكس عمق الارتباط الديني والروحي الذي كان يربط سكان الجزائر بالأماكن المقدسة في العالم الإسلامي (منصور دقاوي, 2014-2015, ص.100).

مؤسسة سبل الخيرات:

تعد مؤسسة سبل الخيرات الحنفية من أهم المؤسسات الوقفية التي عرفتها الجزائر خلال العهد العثماني إذ كانت تمثل نموذجاً للأوقاف الجماعية ذات الطابع شبه. الرسمي وقد عرفت هذه المؤسسة أيضا باسم ديوان الخوجة، وتميزت بتنظيم إداري واضح يعكس المكانة التي كانت تحتلها في إدارة الشؤون الدينية والاجتماعية، فقد كانت تسير من طرف هيئة إدارية تتكون من أحد عشر عضواً يتقدمهم وكيل المؤسسة، وكانت إلى جانب ثمانية مستشارين، وكان هؤلاء في الغالب من أعيان المدينة ووجهائها ، الامر الذي منح المؤسسة نفوذاً معتبراً داخل المجتمع، وجعلها تقوم بدور مهم في تسيير الأوقاف والإشراف عليها(منصور دقاوي, 2014-2015, ص.120).

3 - أوقاف المسجد الجامع:

تعد أوقاف المسجد الجامع من الأوقاف المهمة في مدينة الجزائر إذ جاءت في المرتبة الثانية بعد أوقاف الحرمين الشريفين من حيث كثرة عددها ووفرة مواردها ، كما كان لها دور بارز في الحياة الدينية والثقافية والاجتماعية، ويرجع ذلك أساساً إلى المكانة التي كان يحتلها المسجد الجامع داخل المجتمع. وقد بلغ عدد أوقاف المسجد الجامع بمدينة الجزائر حوالي 550 وقفاً، فشملت المنازل والضياع وغيرها من الممتلكات. وكان الإشراف على هذه الأوقاف يعود إلى المفتي المالكي الذي كان يفوض مهمة تسييرها لوكيل عام يساعده وكيلان، وكانت عائدات هذه الأوقاف تخصص للإنفاق على الأئمة والمدرسين والمؤذنين والقيمين، إضافة إلى تغطية نفقات الصيانة وضمان سير مختلف الخدمات المرتبطة بالجامع (فارس مسدور, 2008, ص.5)

4 - أوقاف مؤسسة بيت المال:

تعد مؤسسة بيت المال من المؤسسات العريقة في نظام الإدارة الإسلامية للأوقاف في الجزائر، حيث تقوم بدورهم في المجال الاجتماعي والخيري، كما كانت تتولى رعاية وإعانة أبناء السبيل والأيتام والفقراء والأسرى، كما كانت تشرف

على إدارة الغنائم التي تعود للدولة وفقاً لسياسة ادارة الداي بما يحقق المنفعة العامة، كما اهتمت المؤسسة بشؤون الخراج وحرصت على توفير العتاد اللازم، فضلاً عن مساهمتها في إقامة المرافق العامة مثل شق الطرق وبناء الجسور وتشييد أماكن العبادة والمساجد. وكان يشرف على هذه الهيئة الخيرية موظف يعرف ببيت المالجي يساعده وكيل تابع للقاضي ، بينما كان يتولى مهمة التسجيل والتوثيق موثقان يعرفان بالعدول، ونظراً لأهمية هذه المؤسسة فقد تمتع المشرف عليها بصلاحيات واسعة واستقلال نسبي في إدارة شؤون بيت المال (أحميدة عميراوي, 2005, ص.113).

أوقاف المساجد والزوايا والمدارس:

تعد الأوقاف من أبرز الدعائم التي قامت عليها المؤسسات الثقافية، حيث شملت المساجد والزوايا والمدارس والمكتبات، وقد حظيت هذه المؤسسات بأوقاف خاصة إلى جانب استفادتها من أوقاف أخرى متعددة، ما أتاح موارد متنوعة ساهمت في استمراريتها. ويذكر ان التعليم في تلك الفترة لم يكن يحظى برعاية مباشرة من السلطة الحاكمة، بل كان يعتمد أساساً على جهود المجتمع، إذ تقوم الأمة بمسؤولية تمويله وتنظيمه.

وقد أسهمت مختلف الفئات الاجتماعية في إنشاء هذه المؤسسات ونقلها من الطابع الأهلي إلى طابع أكثر تنظيما . ومن الأمثلة الدالة على ذلك ما قام به الباي محمد بن عثمان باشا (1796)، الذي شجع الحركة العلمية في بايلك الغرب وجعل من وهران مركزاً للعلم والعلماء من خلال المدارس وتخصيص الأوقاف لها فضلاً عن إنشاء المكتبات (ناصر الدين سعيدوني, 2012, ص.141)

ومن جهة أخرى، ينسب إلى الباي صالح بن مصطفى مبادرات مهمة في إصلاح شؤون المساجد وتنظيم الأوقاف، حيث سعى إلى إعادة هيكلتها لخدمة العلم والعلماء وقد عرفت تلك الفترة نشاطاً ملحوظاً في بناء المساجد و ايقاف الأوقاف عليها مثل ما قام به حسن باشا وأحمد باي وغيرهما من الحكام الذين ساهموا في تشييد المساجد وتوفير موارد مالية دائمة لها. حيث قام الحاج حسن ميزمورطو من بناء المساجد وإيقاف الاوقاف الكثيرة عليه وما فعله عبدي باشا من بناء مسجد جامع وايقاف الاوقاف عليه ، وما فعله الداي محمد بقطاش(1707-1710) محرر وهران للمرة الاولى من الاسبان على مدرسة مازونة التي أصبحت لها مكانة معتبرة ، مما جعل الأمير عبد القادر يجدد ذالك الوقف ويستعمل عبارة:

"وجدنا لهم حكم أوامر المتقدمين" (عبد الرحمن الجيلالي, 1994, ص.423-422).

وهكذا أنفق الدايات والبايات ومختلف الشرائح الاجتماعية الأخرى الاموال الباهضة على المساجد والمدارس والزوايا ونخنم حديثنا عن هذه الاوقاف بأن أوقاف الجامع الكبير وبعض الزوايا بالعاصمة واوقاف الجامع الكبير بقسنطينة ومعسكر وتلمسان تعد من اغنى المؤسسات الجزائرية الى حد سعيد قدورة امين اوقاف العاصمة وشيخ افتائها تمكن من بناء زاوية ومدرسة من فائض اوقاف الجامع الكبير بالعاصمة وقام بترميم بعض الأمكنة من المسجد وإصلاح بعضها الاخر مع بعض الابنية المسجد والكتاب الملحق بها ودار العجزة (أسعد عليوان, 2007, ص.305)

3.1.1 المطلب الثالث: المكتبات

تعد المكتبات من الركائز الأساسية التي يقوم عليها أي نشاط تعليمي وثقافي، إذ لا يمكن الحديث عن حركة علمية دون توفر مصادر معرفية منظمة. حيث كانت الخزائن والمكتبات في الجزائر أواخر العهد العثماني تزخر بعدد من المؤلفات التي تركزت مضامينها أساساً في العلوم الشرعية وما يرتبط بها من فقه وتفسير وحديث، وغالباً ما كانت هذه المؤلفات في

شكل مخطوطات قيمة ونادرة. وقد ذكر "شارل فيرو" الذي كتب عن المؤسسات الدينية بقسنطينة أن العديد من العائلات قامت بالاحتفاظ بكم كبير من المخطوطات في مخازنهم . وقد أسهم انتشار الكتب ووجود المكتبات في مختلف الحواضر الجزائرية في تفنيد الأطروحات الاستعمارية التي سعت إلى تصوير المرحلة العثمانية باعتبارها فترة جمود فكري وثقافي، وهي الأطروحة التي روجت لها الإدارة الاستعمارية عقب الاحتلال الفرنسي لتبرير مشروعها الاستعماري تحت شعار إدخال الحضارة (عبد القادر حلوش, 2010, ص.11).

وفيما يتعلق بمصادر هذه الكتب فقد ارتبطت بالمراكز العلمية الكبرى إلى جانب نشاط ملحوظ للعلماء الجزائريين في مجالي التأليف والنسخ، الأمر الذي يعكس استمرارية الحركة العلمية داخلياً، حيث انتشرت هذه المؤلفات عبر مختلف مناطق البلاد. كما توزعت مراكز التدريس والمكتبات بحسب أهمية المدن مثل: تلمسان، قسنطينة، مازونة، والجزائر العاصمة، حيث تركز النشاط العلمي في المساجد الكبرى والجوامع العتيقة. كما احتوت بعض المدن على مكتبات معتبرة ضمن مجموعات من الكتب العلمية القيمة، وكانت في أحيان كثيرة ملحقة بالمساجد أو موقوفة عليها في إطار نظام الأوقاف (أبو القاسم سعد الله, 1998b, ص.328).

كانت المكتبات في الجزائر عامة وأخرى خاصة، فالعامة كانت تابعة للمؤسسات التعليمية كالمساجد أو الزوايا وأخرى خاصة تعود لبعض العائلات العلمية التي كانت تستقبل الطلبة من مختلف مناطق الجزائر، وقد اشتهرت مدينتا تلمسان وقسنطينة بكونهما مركزين بارزين للحياة الثقافية والعلمية لما احتوتاه من مكتبات غنية بالمؤلفات إضافة إلى وجود أسواق متخصصة لبيع الكتب مثل سوق الوراقين في العاصمة (أشرف صالح محمد سيد, 2013, ص.71).

وقد عرفت بعض الجوامع الكبرى مثل الجامع الكبير بالجزائر باحتضانها خزائن لكتب عامرة بالمخطوطات مما يعكس استمرارية تقاليد علمية راسخة و يؤكد أن الحياة الثقافية في أواخر العهد العثماني لم تكن منقطعة بل كانت قائمة على نمط تقليدي ملاحظ يتلاءم مع البنية الاجتماعية والسياسية آنذاك. غير أن الاحتلال الفرنسي شكل صدمة قاسية للجزائريين إذ نزل بالصاعقة على المجتمع عامة وعلى علمائه خاصة فبعد بسط السيطرة على البلاد عمدت السلطات الاستعمارية إلى الاستيلاء على المعالم الدينية والتعليمية الأمر الذي ألحق ضرراً على البنية الثقافية والعلمية للمجتمع، هو إسناد ضباط المكاتب العربية الذين انتشروا في مختلف المدن والقرى حيث عملوا على جمع الوثائق والمخطوطات المتعلقة بالسكان والعائلات الجزائرية (أبو القاسم سعد الله, 1998b, ص.326).

وقد ترتب عن هذه السياسة حرمان الكثير من العائلات الجزائرية من مخطوطاتها وممتلكاتها العلمية ومن بين العلماء الذين شملتهم هذه الإجراءات نذكر ابن العنابي " رجل اصلاح ولد بعنابة سنة 1189ه-1775م ساهم في المقاومة توفي عام 1267ه-1850م" (أبو القاسم سعد الله, 1990) الذي تعرض للنفي على يد الماريشال كلوزيل سنة 1830م، كما اضطر حمدان بن عثمان خوجة إلى مغادرة البلاد متجهاً إلى فرنسا سنة 1836م، إضافة إلى الكبابطي " ولد سنة 1775 بمدينة الجزائر تولى الكبايطي القضاء على المذهب المالكي في سنة 1827 م نفي الى جزيرة سانت مرغريت سنة 1843 م من قبل الجنرال بيجو وبطلب من الكبايطي يسمح له بالتوجه الى الاسكندرية والبقاء فيها الى ان توفي سنة 1860" (شلفوم أسماء, 2010, ص. 536--560) الذي نُفي سنة 1843م إلى جزيرة سانت مرغريت، وقد حمل معه مؤلفاته وما استطاعوا من صيدهم العلمي لا بإرادتهم بل تحت ضغط سياسة الاحتلال والتضييق عليهم (أبو القاسم سعد الله, 1998b).

2.1 االمبحث الثاني: واقع النشاط الثقافي خلال فترة المقاومات الشعبية

في إطار دراسة الأوضاع الثقافية في الجزائر مع بداية الاحتلال الفرنسي، يبرز الواقع الثقافي الذي عاشه المجتمع الجزائري خلال فترة المقاومات الشعبية، حيث استمرت مظاهر التعليم التقليدي ونشاط الزوايا والطرق الصوفية في أداء دورها داخل المجتمع، ومن هذا المنطلق يدرس هذا المبحث ملامح الواقع الثقافي في الجزائر خلال هذه المرحلة.

1.2.1 المطلب الأول: وضعية التعليم العربي التقليدي خلال فترة المقاومات الشعبية

عرف التعليم في الجزائر عشية الاحتلال الفرنسي انتشارا واسعا حيث عرف انتشاراملحوظا في مختلف مناطق البلاد خلال العهد العثماني (وتشير) الدراسات التاريخية أن منظومة التعليم آنذاك كانت قائمة على المؤسسات التقليدية في مقدمتها المساجد والزوايا والكتاتيب التي قامت بدور محوري في نشر التعليم، وقد بلغ عدد هذه المدارس مستوى معتبرا مما يعكس حيوية النشاط العلمي وتغلغله في المجتمع الجزائري (محمد الطمار, 2007, ص. 261).

كما أشار الجنرال د وماس في أحد تقاريره أن التعليم الابتدائي في الجزائر كان له انتشار أوسع مما كان يعتقد، وأن نسبة الذين يعرفون القراءة والكتابة من الذكور في المحافظات الثلاث كانت تضاهي على الأقل نظيرتها في المحافظات الفرنسية آنذاك.

ومنذ البدايات الأولى للاحتلال رسمت الإدارة الاستعمارية سياستها التعليمية على أسس واضحة تمثلت في:

- هدم بعض المؤسسات التعليمية أو تحويل وظائفها ووضع مواردها في الخزينة العامة
- إنشاء مؤسسات تعليمية وثقافية موجهة أساسا لخدمة المستوطنين مع إقصاء (أبو القاسم سعد الله, 1998d, ص. 173).الجزائريين تدريجيا من مدارسهم الأصلية والعمل على نشر الثقافة الفرنسية وقيمها بدل الثقافة الإسلامية
- محاربة التعليم العربي الإسلامي عبر التضييق على العلماء، وشيوخ الزوايا والرباطات واستمالة بعضهم بالمناصب الإدارية وتشجيع الإنحراف الاجتماعي لإضعاف البنية القيمية المجتمع
- تقليص دور التعليم الأصيل ليقتصر على تحفيظ القرآن الكريم دون تفسير أو شرح وتعليم قواعد اللغة العربية بصورة شكلية دون تعميق الفهم (أبو القاسم سعد الله, 1998b, ص. 163)

وقد أفضت السياسة التعليمية المنتهجة في المجال التعليمي الى تراجع ملحوظ في انتشار التعليم بالجزائر خاصة خلال الفترة الممتدة مابين 1840م و 1850م و يوضح الجدول التالي تطور عدد المدارس وأعداد الطلبة مبرزا الاختلالات التي مست مختلف المراحل التعليمية (أبو القاسم سعد الله, 1982, ص. 165-164)

السنة	عدد المدارس	عدد الطلبة
1837		بين 600 و 700 طالب
1840	24 مدرسة	اكثر من 600 طالب
1846	14 مدرسة	حوالي 400 طالب
1847	90 مدرسة ابتدائية	60 طالب حوالي 1300 إلى 1400 طفل

إحصائية تطور المؤسسات التعليمية و أعداد الطلبة في الجزائر خلال الفترة مابين 1847-1837

تكشف هذه المعطيات الإحصائية عن تراجع واضح وممنهج في واقع التعليمبالجزائر خلال الفترة الممتدة بين 1840 و 1850 حيث انخفض عدد المؤسسات التعليمية وعدد الطلبة بشكل ملحوظ خاصة في التعليم الثانوي، ورغم تسجيل ارتفاع نسبي في عدد المدارس الابتدائية سنة 1847 م إلا أن ذلك لم يعكس تحسنا ملحوظا وحقيقيا ويعكس هذا التباين اختلالا في بنية النظم التعليمية إذ تم التركيز على التعليم الأول وإهمال المراحل العليا (خير الدين بن ترزي, 2013, ص. 109).

انحصر نشاط التعليم الأصيل داخل المدارس القرآنية في ظل تضييق واضح على المساجد والزوايا إذ تخوفت السلطات الاستعمارية من استغلال هذه الفضاءات الدينية للمجتمع الجزائري ونشر أفكار الجهاد ومقاومة الاحتلال وحتى حين يسمح لها بمزاولة نشاطها فإن مجالها ظل محدودا واقتصر ذلك على تحفيظ القرآن الكريم وتعليم أبجديات اللغة العربية وبعض قواعدها دون توسع كما عرفت الساحة التعليمية خلال هذه المرحلة موقف يرجع لعدد من الطلبة وبعض الأساتذة نحو المناطق التي لم تمتد إليها السيطرة الفرنسية مثل القبائل والأوراس والصحراء فضلا عن الجهات التي كانت تحت نفوذ الأمير عبد القادر حيث استمر النشاط التعليمي في ظل مقاومته واتخذ طابعا من التحدي والصمود في مواجهة الاحتلال، ويبرز في هذا السياق اهتمام الأمير عبد القادر البالغ بالتعليم إذ شجع على القراءة والكتابة وعلى تعليم الصغار والكبار وتولى الإشراف على هذه المهمة ويذكر الإسكندر بيلماري :

"أن الأمير عبد القادر اعتبر التعليم وظيفة أساسية من وظائف الحكم وجعله من صميم مسؤولياته بصفته سلطانا ومسؤولا عن رعاية شؤون الدين والعلم" (أبو القاسم سعد الله, 1998d, p. 46-47)

ومن هذا المنطلق أنشأ مدارس يتلقى فيها الأطفال أصول الدين الإسلامي فيتعلمون القراءة والكتابة بينما وجه الراغبون في التعمق في التحصيل العلمي إلى المساجد والزوايا لمواصلة دراستهم، وتعكس هذه الجهود حرص الأمير عبد القادر

علىصيانة المقومات الدينية والثقافية للمجتمع الجزائري في مواجهة السياسة الاستعمارية التي استهدفت تفويض التعليم التقليدي وإضعاف بنية الأمر الذي جعل من التعليم أحد ميادين الصراع الحضاري خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر

وصلت المدن التي خضعت لحكم، دولة الأمير عبد القادر إلى درجة متقدمة من التنظيم التعليمي إذ نشطت فيها المدارس والمساجد من مدن مثل معسكر ومازونة و مليانة وغيرها وقد واصلت هذه المؤسسات أداء رسالتها التعليمية بتقديم الدروس المطلوبة للمتعلمين وطالبي العلم وذلك إلى غاية سنة 1843م رغم الحروب التي دارت بين الأمير عبد القادر والقوات الفرنسية وما رافقها من ظروف معيشية صعبة وملاحقة مستمرة من طرف العدو ، ومن جهة أخرى استمرت المدارس من المناطق التي لم يصلها الاستعمار الفرنسي في أداء دورها التعليمي بشكل طبيعي لاسيما في مازونة ، الصحراء، حيث ظل التعليم يسير وفق النماذج والبرامج المعروفة منذ العهد العثماني (دبي رابح, 2002-2003, p. 33)

ويلاحظ أن التعليم العربي الإسلامي في الجزائر كان تقليدي الطابع ولم يكن خاضع لوصاية الدولة بل كان مستقلا يعتمد في تمويله على الأوقاف وتبرعات المحسنين والأعيان كم اتسم بارتباطه الوثيق بالجوانب الدينية و العبادات إذ كان يهدف أساسا إلى خدمة الشعائر ولم يكن موجها نحو توظيف المعارف في مجالات الحياة العلمية مثل الطب والهندسة (أبو القاسم سعد الله, 1998a, p. 135)

مناهج التعليم وأطواره

حافظ التعليم في المرحلة الابتدائية على طابعه التقليدي، حيث كان المنهج التعليمي والتربوي موحدًا في معظم أنحاء الجزائر، وتشابهت المدارس القرآنية في خصائصها وتنظيمها. وكان يشرف على كل مدرسة أحد العلماء الذي يتولى إدارتها والقيام بمهمة التعليم والتربية فيها. وتعددت وظائف هذه المدارس، فإلى جانب تربية الأطفال وتعليمهم وتحفيظهم القرآن الكريم، كانت تُعنى بتلقينهم مبادئ القراءة والكتابة والرسم القرآني، إضافة إلى حفظ بعض الأحاديث النبوية وأداء الصلوات. وكان الأطفال يرتادون الكُتّاب أو المدرسة القرآنية عادة مرتين يوميًا صباحًا ومساءً، ويمكثون فيها ساعتين أو أكثر، حيث يجلسون في حلقة حول المعلم أو المؤدب، ويتلقون في البداية مبادئ القراءة والكتابة ثم ينتقلون إلى حفظ القرآن الكريم واستظهار ما تم حفظه من سورة أمام المعلم .(العربي شودار, 2024, ص. 26)

واعتمد التعليم في هذه المرحلة على أسلوب الحفظ، فكان الطلبة يواصلون حفظ القرآن الكريم بروايات مختلفة مثل رواية ورش وغيرها، وغالبًا ما كان المعلم يلجأ إلى استعمال العصا لضبط النظام وجلب الانتباه والتركيز دون أن يكون الهدف منها الإيذاء في حد ذاته. كما اتسمت العلاقة بين التلميذ والمعلم باحترام الصغير للكبير وتقدير المتعلم للاستاذ ، مع مكانة خاصة لحفظة القرآن الكريم وأهل العلم مكانة خاصة داخل المجتمع. وكان من المعتاد أن يتم التلميذ حفظ القرآن الكريم في سن العاشرة أو الثانية عشرة، أما مدة الدراسة في هذه المرحلة فكانت تمتد غالبًا إلى نحو أربع سنوات، مع تفاوت بين الفقراء والأغنياء في مواصلة تعليمهم وبذالك (أبو القاسم سعد الله, 1982, ص. 163).يدخلون من الطور الثانوي.

يلاحظ أن مراحل التعليم آنذاك لم تكن متميزة بوضوح كما هو الحال في الوقت الحاضر، بل كانت في كثير من الأحيان متداخلة. وقد قامت الزوايا والمساجد بمهمة التعليم بمختلف مستوياته، كما أدّت دورًا اجتماعيًا تمثل في إيواء الطلبة، خاصة الغرباء منهم. ومع ذلك، تخصصت بعض الجوامع الكبرى في تقديم الدروس، وكان الطلاب يواصلون تعليمهم الثانوي في الجوامع أو المدرسة الملحقة بالأوقاف والزوايا، كما ظل التعليم في هذا المستوى مجانيًا، إذ كان المدرس يتلقى أجره من

ريع الأوقاف، وغالبًا ما كان يجمع بين التدريس ووظائف أخرى مثل الفتوى أو القضاء.

أما البرامج الدراسية في التعليم الثانوي فكانت تشمل علوم النحو، والتفسير، وحفظ المتون، والمطالعة، والتوحيد، وقد كانت مدة التعليم الثانوي تمتد إلى سبع سنوات، ولم يكن هناك فصل واضح بين التعليم الثانوي والتعليم العالي (دبي رابح, 2003-2002, ص. 35).

2.2.1 المطلب الثاني: الدور التعليمي للطرق الصوفية

1. الطرق الصوفية

ان الطرق الصوفية تعد ظاهرةً اجتماعيةً وثقافيةً ، و من السبل والوسائل المؤدية إلى الله تعالى اتت لتحيي سنة النبي ﷺ وتعاليمه. وتمثل البعد الروحي للإسلام والتعليم الديني وهي تختلف وتتباين في الاسلام منذ تاريخها ونشاتها، فقد كانت الزوايا هي المكان الذي يلتقي فيه الؤيدون بمشايخ الطرق الصوفية ولها دور في استمرار الافكار الصوفية وانتشارها (عبد العزيز شهبي, 2007, ص. 17) ومن هنا عند الحديث على الطريقة الصوفية فقد مثلت احد اهم مظاهر التواصل الروحي في مجتمعات دول شمال افريقيا وساهمت في توطيد العلاقات بينها من خلال شيوخها الذين كانو كثيري التردد فيما بينها بغية نشر العلوم الشرعية وتعلمها وتعزيز الإنتماء الديني وتوطيد اواصر المحبة حيث ان هناك بعض المؤرخين والباحثين يرون ان القرن العاشر هجري بدات فيه تظهر معالم الطرق الصوفية والتي قامت على مبدا الاتباع والالتزام بطاعة الله اولا ثم طاعة الشيوخ (أحمد عاشور, 2017, ص. 164)

2. الزوايا

الزوايا جمع زاوية وهي مأخوذة من جمع زوى وانزوى بمعنى إبتعد وإنزل كما في كتب اللغة العربية وسميت بذلك لأن الذين فكروا في بنائها أول مرة المتصوفة والمرابطين اختاروا الانزواء بمكانها والابتعاد عن صخب العمران وضجيجه طلبا للهدوء والسكينة الذين يساعدان على التأمل والرياضة الروحية ويناسبان جو الذكر والعبادة وهي من الوظائف التي من أجلها وجدت الزواية

حيث إن الزوايا تعد من أهم المؤسسات الدينية والاجتماعية في الجزائر قبل وأثناء الاحتلال ومع بداية الاحتلال الفرنسي برزت كقوة روحية وثقافية ساهمت في نشر تعاليم الطرق الصوفية وتنظيم المجتمع والمساهمة في الحفاظ على الهوية الإسلامية، ولقد كانت الزوايا بمثابة مراكز إسناد للثورات الشعبية حيث تمدها بالرجال والسلاح والمال حيث أنقذت الفقراء والمحتاجين فقامت بإطعامهم وجعلت التعليم مجاني لكل الناس (صلاح الدين العقبي, s. d., ص.301).

3. التعليم في الطرق الصوفية

يعد التعليم في الجزائر خلال مرحلة المقاومات الشعبية أحد الآليات التي ساهمت في صون الهوية الثقافية والدينية، وقد تجسد ذلك داخل الأطر التقليدية الدينية وفي مقدمتها الطرق الصوفية التي اضطلعت بدور في استمرارية العملية التعليمية داخل المجتمع ومن أبرزها:

1- الطريقة القادرية

أ- مفهومها تعد الطريقة القادرية من أعرق وأبرز الطرق الصوفية في العالم الإسلامي عامة وفي الجزائر خاصة طريقة تنسب إلى عبد القادر الجيلاني إذ يعتبر من أكبر المتصوفين ومن أشهر أقطاب الإسلام تتواجد الزاوية الأم للطريقة القادرية في بغداد لها فروع عبر كامل الوطن العربي والإسلامي وقد انتقلت إلى الجزائر على يد الشيخ أبي مدين شعيب المولود بإشبيله المولود في القرن السادس هجري لقيت القادرية كل الدعم والتشجيع خلال العهد العثماني غير أن أهم زوايا الطريقة القادرية زاوية القيطنة التي أسسها الحاج مصطفى في الجزائر سنة 1200ه -1786م وهناك زوايا أخرى منها زاوية الروسيات في منطقة ورقلة التي أسسها محمد الطيب بن براهيم، زاوية المنيعة، زاوية العمارية قسنطينة وكذلك زاوية الشلاطة والتي تعتبر من أهم الزوايا التعليمية في البلاد القبائل (أبو القاسم سعد الله, 1998b, ص. 514).

ب- دورها التعليمي ركزت الطريقة القادرية بالدعوة إلى الوعظ والارشاد وتعليم المبادئ الدينية وتربيتها و إصلاح النفوس وتزكيتها إثارة الشعور الإيماني وتقوية العقيدة حيث كان محور تعليمها يرتكز على تحفيظ القرآن الكريم وتفسيره ودراسة الفقه المالكي (أبو الحسن الندوي, 1984, ص. 29) بالإضافة إلى تعليم اللغة العربية (قراءة و كتابة) معتمدة في ذلك على الحفظ والتلقين واستعمال الألواح الخشبية والدروس التي يلقيها الشيوخ، كما أن الزاوية القادرية تبنت موقفا معاديا لكل ما هو أجنبي يخالف الإسلام ووقفت ضد التنصير والتخريب من خلال التعليم الديني الذي كان يمثل شكلا من أشكال المقاومة التي لا تقل أهمية عن مقاومة السلاح، حيث اعتمدت في منهجها الثوري والتعليمي على القرآن الكريم والسنة الشريفة ولم يقتصر دور الزاوية على التربية والتعليم والمقاومة الثقافية فقط بل تعدت لتشمل أيضا دعم الثورات والانتفاضات الشعبية وتأييدها ومدها بكل ما تحتاجه من مساعدة (عبد الجليل سافني, 2021, ص.211).

من هنا نجد أن ما قيل فيها فإذا سئلت على الطريقة القادرية فهي العلم والأخلاق والصبر والإتقان وإذا سألت على واجبات الطريقة القادرية فهي ذكر الله والصدق والابتعاد عن شؤون الدنيا (أبو القاسم سعد الله, 1998d, ص.43-44).

2- الطريقة التيجانية

أ- مفهومها تنسب الطريقة التيجانية إلى مؤسسها أحمد التيجاني والذي ولد في عين ماضي قرب الأغواط سنة 1150ه وتوفي في فاس بالمغرب الأقصى سنة 1230ه -1814م.

أعلن الشيخ التيجاني عن طريقته عام 1782 وبذل جهدا كبيرا لنشر طريقته في بايلك الغرب مشجعا على بناء الزوايا، وكان بإمكان طريقته أن تعرف الشهرة التي بلغتها فيما بعد في مسقط رأسه لولا المضايقات التي أرغمته على الهجرة إلى فاس عام 1798م والمتمثلة في الحملات العسكرية التي شنها بايلك الغرب على عين ماضي، حيث استطاع من خلال رحلاته جمع أفكار وآراء الطرق الصوفية عن العالم الإسلامي (أبو القاسم سعد الله, 1998a, ص.517).

وقد كان لها عدة زوايا منتشرة على أرض الوطن خاصة في إقليم الجزائر وإقليم وهران وإقليم قسنطينة.

ب- دورها التعليمي اعتمدت الطريقة التيجانية على التعليم للمحافظة على الإسلام ونشر تعاليمه وتعتبرها رسالة نبيلة وركيزة أساسية بالإضافة إلى أنها أولت أهمية بالغة في العناية بمختلف العلوم الشرعية واللغوية.

وقد انتشرت وتوسعت كما أن نفوذها بلغ وانتقل وراء الحدود الجغرافية الجزائرية مقارنة بالطرق الصوفية الأخرى،

رغم الظروف والأوضاع الصعبة التي كانت تعيشها الجزائر ويعاني منها الشعب خلال تلك الفترة الاستعمارية خاصة وأنه كان يشن حملاته للتوسع والقضاء على كل ما يمكن أن يقف في طريقه أو يفسد مخططاته (أحمد الأزمي, 2000, ص. 72).

وكان منهجها التعليمي لا يختلف كثيرا عن باقي الطرق الصوفية من الأوراد والأذكار وإقامة الزيارات أي أن تعليمها كان تقليديا يرتكز على المحافظة على اللغة العربية وتعليمها وتحفيظ القرآن وتفسيره والحديث وكذا الفقه معتمدة على الشرح الشفهي المباشر والحفظ والتلقين واستعمال الألواح الخشبية والمصاحف.

لذا فلا أحد ينكر فضلها التاريخي في تمكينها من حفظ تعاليم الدين الإسلامي في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية فجاهدت لإرجاع الضالين إلى سواء السبيل بتعليم الناشئة ونشر العلم في صدور الرجال، ولولا جهودها العظيمة المعترف بها لما بقيت اللغة العربية ولا علوم الدين إلى يومنا هذا (مرابطي رفيقة ومحمد مرغيث, 2022, ص. 251).

3- الطريقة الرحمانية

أ- مفهومها تنسب الطريقة الرحمانية إلى مؤسسها الأول محمد بن عبد الرحمان الأزهري الجرجري الذي ولد في قبيلة أيت إسماعيل سنة 1132ه -1720م تلقى تعليمه بزاوية الصديق بن أعراب بآيت إيراثن (عبد القادر عثماني, 2002, ص. 12).

وقد قام بتأسيس أول زاوية له في الجزائر سنة 1764م بمنطقة أيت إسماعيل ثم انتشر عبر مناطق الوطن وأصبحت تعد من أكثر الطرق انتشارا وأكثرها أتباعا. ومن أبرز الفروع التي تشكلت وتفرعت من الزاوية الرحمانية:

- زاوية الشيخ عبد الرحمن باشا التارزي بقسنطينة سنة 1778
- زاوية الشيخ محمد الصادق بالأوراس
- زاوية العثمانية بطولقة أسسها الشيخ علي من مدرسة 1870م
- زاوية الهامل القاسمية بالمسيلة أسسها محمد بن أبي القاسم الهاملي سنة 1862م

(عبد الحميد زوزو, 2011, ص.100) (عبد الحميد زوزو, 2011, ص.100)

ب- دورها التعليمي تعد واحدة من أهم أبرز المعالم الرئيسية في تاريخ الجزائر المعاصر والتي كانت تدعو إلى التمسك بتعاليم الشريعة والرجوع إلى منابع الإسلام الأولى، فكانت شعلة دينية وثقافية واجتماعية.

أدت دورا هاما داخل المجتمع الجزائري خاصة في الفترة الأولى من الاحتلال الفرنسي للحفاظ على مقوماته "الدين واللغة" لأنها القلب النابض والروح التي تحيي المجتمع.

لكن التضييق من جانب الفرنسيين ثم الاحتلال وهدم الزاوية الأم أدت إلى انتشار سريع للرحمانية عكس ما كان يتوقع الفرنسيون.

وكانت الطريقة تتميز بطابع المساواة بين الجميع وهم يتواصلون بالعزلة عن الناس وبالسهر والخلوة والصيام والذكر والاجتماع للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وإقامة الحضرة (أبو القاسم سعد الله, 1998b, ص.144).

واعتمدت على تحفيظ القرآن الكريم بالروايات المعتمدة وتعليم مبادئ القراءة والكتابة وكذا دراسة المتون اللغوية والفقهية بالإضافة إلى علوم التفسير والحديث وأصول الفقه والحساب والملك.

وقد أولت الطريقة الرحمانية أولوية لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم اللغة العربية والسيرة النبوية، وكانت مؤسسة دينية تستقطب العلماء والطلبة من مختلف الجهات، وكانت تقارير الاحتلال تشير إلى أن عدد الطلبة في زوايا الطريقة الرحمانية بلغ حوالي 156 ألف طالب (عبيد جلالي و بن نعماني سيد أحمد, 2022, ص.962). اضطلعت الطريقة الرحمانية بدور مهم جمع بين التربية الدينية والإصلاح الاجتماعي إلى جانب مساهمتها الفاعلة في دعم حركات المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي. وفي هذا السياق اتخذت الطريقة الرحمانية موقفاً صريحاً مناهضاً للاستعمار الفرنسي حيث أعلنت العصيان وساندت مختلف أشكال المقاومة الشعبية وقدم شيوخها وأتباعها تضحيات جسيمة بلغت حد الاستشهاد في سبيل الدفاع عن الوطن والدين.

علم الاحتلال الفرنسي أن لهذه الطرق الصوفية تأثيراً كبيراً وفعالاً على المجتمع مما يجعلها تكون سداً ومانعاً وعقبة في سبيل نشر مخططاته الاستعمارية وخاصة سياسته التعليمية التي كانت مهمتها وغايتها ضرب الهوية ومحاربة الإسلام لذلك فإن التقارير والدراسات التي قام بها الاحتلال حول تنظيم الزوايا ونفوذها تؤكد ذلك، حيث يقول الباحث الفرنسي "إمري": "بالرغم من أن لهذه الطرق الصوفية صبغة دينية فإنها كانت بالنسبة لدورها الاقتصادي والاجتماعي أشبه بأحزاب سياسية تستند إلى نظام غامض وتدريج محكم إنها منظمات تؤجج العداء ضدنا"(أبو القاسم سعد الله, 1998b, ص.144).

أما النقيب "دونوفو" فنجد أنه قال في وصفه للأشكال التنظيمية في الزوايا: "إن الزوايا هي مراكز المتآمر، و إشعال فتيل التمرد وهي معادية للوجود الفرنسي وتحظى بكثير من الاحترام بين الأهالي" (عبيد جلالي و بن نعماني سيد أحمد, 2022, ص.962)

خلص هذا الفصل إلى مجموعة من النتائج يمكن إجمالها في ثلاث نقاط أساسية كالتالي:

- يتضح من خلال هذا الفصل أن الأوضاع الثقافية في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي تميزت بوجود بنية ثقافية ودينية متماسكة، ارتكزت على التعليم التقليدي والكتاتيب والزوايا والمساجد، التي أدت دوراً مهماً في نشر العلوم الدينية واللغة العربية والحفاظ على الهوية الإسلامية خلال العهد العثماني.
- بنيت الدراسات أن فترة المقاومات الشعبية لم تقتصر على الجانب العسكري فقط بل شملت أيضاً مقاومة ثقافية وفكرية، إذ ساهمت الزوايا والطرق الصوفية في حماية التعليم العربي الإسلامي والمحافظة على مقومات الشخصية الوطنية في مواجهة التغلغل الاستعماري.
- إن المقاومات الشعبية أسهمت في تعزيز التماسك الروحي والديني داخل المجتمع الجزائري، حيث شكلت الزوايا والطرق الصوفية فضاءات للحفاظ على الهوية الحضارية وترسيخ قيم الانتماء والوحدة ومواجهة السياسة الاستعمارية الفرنسية مع بداية الاحتلال.

الفصل الثاني:

السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر 1830-1870

المبحث الأول: اهداف السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر

المبحث الثاني: المؤسسات التعليمية الفرنسية في الجزائر

المبحث الثالث: المؤسسات الدينية المسيحية في الجزائر

2

السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر 1830-1870

شكلت السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر خلال القرن التاسع عشر أداة أساسية لترسيخ المشروع الاستعماري، حيث لم تقتصر على نشر التعليم بل ارتبطت بأبعاد دينية وثقافية واضحة، وفي هذا الإطار لعبت المؤسسات الدينية المسيحية دوراً بارزاً في تنفيذ السياسة وتجسيد أهدافها على أرض الواقع، ومن ثم يدرس هذا الفصل ملامح السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر مع إبراز مؤسساتها الدينية والتعليمية خلال هذه الفترة.

1.2 المبحث الاول : اهداف السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر

تعد السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر إحدى الركائز الأساسية التي اعتمدت عليها الإدارة الاستعمارية للسيطرة على الأهالي وترسيخ الاحتلال، وقد ارتبط هذا التوجه بجملة من الغايات السياسية والثقافية التي سعت فرنسا إلى تحقيقها من خلال التعليم، وعليه يهدف هذا المبحث إلى توضيح مفهوم هذه السياسة التعليمية والكشف عن أبرز أهدافها.

1.1.2 المطلب الأول: مفهوم السياسة التعليمية

مفهوم السياسة التعليمية الفرنسية السياسة التعليمية الفرنسية هي تلك الإجراءات والتدابير المنتهجة من طرف الإدارة الفرنسية في مجال تعليم أفراد المجتمع الجزائري أو ما كانت تسميهم "الأهالي"، وذلك فيما يتعلق بنوع التعليم المقدم للأهالي والمؤسسات المسؤولة عن تقديم هذا التعليم وبرامج ومناهج التعليم والأهداف المستهدفة. (سمير أبيش, 2017, ص. 129)

بعد الاحتلال مباشرة حاولت السلطات العسكرية الفرنسية تنظيم تعليم خاص بالجزائريين لتكوين أفراد موالين لها، فكانت مراسيم تأسيس المدارس والمعاهد العربية الفرنسية والإشراف على التعليم العربي الإسلامي ووضعه تحت الإدارة الاستعمارية، وكان هذا التعليم مخصصاً لأقلية معينة من المجتمع بينما كانت الأغلبية منه تعيش في الجهل والحرمان الثقافي. وكانت السياسة التعليمية الفرنسية التي بدأت تتشكل منذ العهد الإمبراطوري تهدف إلى القضاء على الثقافة الوطنية ونشر التعليم الفرنسي بين أوساط معينة من السكان لجعلها ميدان تجربتها، وكان الغرض منها تحويل المجتمع الجزائري تدريجياً إلى مجتمع خاضع للنفوذ ومرتبطا ثقافياً وسياسياً بفرنسا (عبد القادر حلوش, 2010, ص. 47).

وقد ركزت المدرسة الاستعمارية كثيراً على هذا الجانب باحتواء برامجها التعليمية بشكل تفصيلي ومقنع وبلبلة أفكار الجزائريين وتشكيكهم في أمر عروبتهم وإسلامهم (بلحيداس خديجة, 2018, ص. 110).

قامت سياسة الثقافة الفرنسية على محاربة اللغة العربية الفصحى وتشجيع اللهجات المحلية وترسيم اللغة الفرنسية وتعميم إستخدامها وشوهت التاريخ الإسلامي في الجزائر واعتبرت فتراته عصوراً مظلمة واحتلالا وركزت على التاريخ الأوروبي الروماني البيزنطي في الجزائر بإيحاء فكرة الانتماء والتواصل (لونيسي رابح, 2007, ص. 73).

إذن فالسياسة التعليمية هي تلك الطرق التي سطرها الاستعمار الغاشم على الشعب الجزائري ابتداءاً من 1830 لطمس الهوية الجزائرية والقضاء عليها وسلخ الشعب الجزائري عن امتداده العربي الإسلامي (مداني حسين, 2012-2013, ص. 6).

2.1.2 المطلب الثاني : اهداف السياسة التعليمية

ارتكزت السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر على ثلاثة محاور و أهداف أساسية ألا وهي: الفرنسة، التنصير، والإدماج.

1- الفرنسة:

يقصد بالفرنسة تلك السياسة الهادفة إلى القضاء على المقومات الثقافية العربية للشعب الجزائري، والعمل على إحلال الثقافة الفرنسية محلها بما يؤدي إلى طمس الهوية الثقافية والتاريخية للشعب الجزائري؛ وقد سعت الإدارة الإستعمارية إلى تحقيق هذا الهدف من خلال تعميم التعليم الفرنسي من أجل إنتاج أجيال مثقفة بالثقافة الفرنسية وموالية لفرنسا، وفي هذا الصدد كتب أحد المسؤولين في بداية عهد الاحتلال كما ذكر المؤرخ "آجرون" يقول: "إن أنجح وسيلة للتوصل إلى سلام شامل ودائم في الجزائر هي أن ننشر معارفنا ولغتنا بين الأهالي وتلك كانت قناعة معظم القادة والمسؤولين الفرنسيين المدنيين والعسكريين". ومن أجل تحقيق الفرنسة قامت فرنسا بضرب التعليم العربي الإسلامي وتفكيك أسسه، وذلك عبر إنشاء مؤسسات تعليمية فرنسية تعتمد على تدريس تاريخ وجغرافية فرنسا وتهميش تاريخ الجزائر والعالم الإسلامي.(بشير بلاح, 2006, ص. 152) ونذكر مثال يوضح هذه السياسة والمتمثل في التعليمات التي أصدرتها الحكومة الفرنسية في بداية الاحتلال عقب الشروع في تنظيم إدارة الجزائر حيث جاء فيمايلي: "إن إيالة الجزائر لن تصبح حقيقة مملكة فرنسية إلا عندما تصبح لغتنا هناك قومية، والعمل الذي يترتب علينا إنجازه هو السعي وراء نشر اللغة الفرنسية بين الأهالي إلى أن تقوم محل اللغة العربية".(رابح تركي, 1975, ص. 106)

إن هذه التوصية وحدها كافية لإبراز مدى اهتمام السلطات الفرنسية بتعليم اللغة الفرنسية، ومن جهة أخرى مدى تخوفها من محافظة الجزائريين على اللغة العربية، إذ عدّت هذه الأخيرة عائقاً أمام التوسع الاستعماري في الجزائر وعلى الوجود الفرنسي ككل، فلن يتحقق الاحتلال الشامل في نظرهم إلا بالقضاء على اللغة العربية، ومن هنا يتضح مدى خطورة السياسة التعليمية وفي مقدمتها الفرنسة.

وتجلت خطة فرنسا في القضاء على اللغة العربية بوصفها مقوماً أساسياً للشخصية الجزائرية فقاموا بتقسيم اللغة العربية إلى:

- لغة دارجة: لا قيمة لها.
- لغة فصيحة: عدّها المحتل الفرنسي لغة غريبة عن الجزائريين ولا قيمة علمية ترجى منها واستعمال الجزائريين لها خطأ كبير.

كما قامت السلطات الفرنسية بفرنسة جميع أطور التعليم فرنسة كاملة كما قامت بفرنسة الإدارة لقتل اللغة العربية تدريجياً. (عبد القادر بوحيسون, 2025, ص. 146)

وذلك من أجل تحقيق تلك الأهداف بادرت الإدارة الفرنسية بإنشاء المدارس العربية الفرنسية والتي كان الهدف منها قولبة الشبان الجزائريين في قالب فرنسي ليكونوا نماذج لحضارة المستقبل حسب زعمها. (أحمد مهساس, 1985, ص. 60)

سعى الاستعمار الفرنسي إلى ترسيخ اللغة العربية وجعلها أداة الهيمنة الثقافية وهو ما استلزم إقصاء اللغة العربية الفصحى باعتبارها لغة القرآن الكريم والحامل الأساسي للهوية العربية الإسلامية في الجزائر. وفي هذا السياق عمدت الإدارة الاستعمارية إلى غلق المؤسسات التعليمية التقليدية بهدف حرمان الجزائريين من تعلم دينهم وقطع صلتهم بموروثهم الحضاري، كما تم العمل على تفريغ النص القرآني من مضمونه.(فريد حاجي, 2013, ص. 324) الوظيفي بتحويله إلى مجرد تراث تاريخي لا يدرك إلا عبر مقاربات لغوية شكلية ليقتصر حضوره التلاوة في الزوايا والمساجد والمناسبات الدينية على غرار ما زال إليه وضع بعض الكتب السماوية الأخرى .(فريد حاجي, 2013, ص. 325)

2- التنصير:

نقصد بسياسة التنصير في الجزائر تلك الجهود التي بذلتها الإدارة الاستعمارية الفرنسية بهدف التأثير على البنية الدينية للمجتمع الجزائري من خلال نشر الديانة المسيحية على حساب الدين الإسلامي الذي يعد الدين الأصلي للسكان، وقد ارتبطت هذه السياسة بتوجه عام يسعى إلى إضعاف مكانة الإسلام داخل المجتمع، حيث ظهرت ملامحها منذ السنوات الأولى للاحتلال الفرنسي، وتجلى ذلك في التضييق على المؤسسات الدينية الإسلامية، والعمل على تغيير أدوارها بما يخدم أهداف الإدارة الاستعمارية .(رابح تركي, 1975, ص. 107)

كان الاستعمار الفرنسي في الجزائر يهدف إلى غايتين أساسيتين:

- غزو الأرض
- غزو الأفكار أي الغزو العسكري والغزو الفكري.

قام بتنفيذ الغرض الأول العسكريين بينما أسند الغرض الثاني لرجال الدين فقد جاء حوالي 16 قسيسا رافقوا الجيش الفرنسي وذلك أثناء الحملة الفرنسية على الجزائر وحتى الملك الفرنسي ووزراءه كانوا يأملون أن يعقب الإنتصار العسكري انتصار المسيحية، فعندما سقطت مدينة الجزائر في جويلية عام 1830 ودخلها الفرنسيون صرح الجنرال دوبورمون للمقاومة ورجال الكنيسة قائلا:

"إنكم أعدتم معنا فتح الباب للمسيحية في إفريقيا ولنأمل أن تنبع قريبا الحضارة التي انطفأت في هذه الربوع" (عبد القادر حلوش, 2010, ص. 52).

كما صرح الكاردينال لافيجيري سنة 1869 قائلاً:

"علينا أن نخلص هذا الشعب من قرآنه، وعلينا أن نعتني على الأقل بالأطفال لتنشئتهم على مبادئ غير التي شب عليها أجدادهم، فإن واجب فرنسا تعليمهم الإنجيل أو طردهم إلى أقاصي الصحراء بعيدين عن العالم المتحضر" (الطاهر زرهوني, 1993, ص. 33)

وتجدر الإشارة إلى أن جهود التنصير ارتكزت على منطقة القبائل لأنه كما زعم لافيجيري (أبو القاسم سعد الله, 1998e, ص. 119) " هو شارل مارسيال ألمان لافيجيري، وُلد في 31 أكتوبر 1825 في باريس. عمل أستاذ تاريخ

بجامعة السوربون بباريس، ثم انتقل إلى الجزائر سنة 1867 حيث أصبح كبير أساقفتها. اهتم بالتبشير، فأسس سنة 1868 جمعية المبشرين في الجزائر المعروفة باسم "الآباء البيض". توفي في 18 نوفمبر 1892." أن إسلامهم سطحي وأن أجدادهم كانوا قديماً يتبعون الحضارة المسيحية،

وقد سخر لذلك إمكانيات ووسائل ووضع برنامج يسير عليه المبشرون في عملهم وانصب هذا البرنامج حول:

1-ينصب اهتمام البرنامج الخاص لا إلى تنصير الفرد لأن ذلك ينجح وإنما إلى التنصير الجماعي، أي تنصير القرية بأكملها، وللوصول إلى ذلك لا بد من القضاء على روح التعصب الديني.

2-أن المسيحي في نظر السكان إنسان كافر ولذا أوصى لافيجيري مبشريه بأن يتظاهروا بمظهر التدين حتى يكتسبوا الإحترام.

3-التمسك بالصبر والتسامح وتقبل الشتم والسب.

4-جلب السكان بواسطة الأعمال الخيرية كالأعمال التطبيبية وزيارات القرى للمعالجة وتعليم الأطفال.

5-الإندماج في وسط السكان عن طريق استعمال لغتهم (خديجة بقطاش, 2007, ص. 155).

ومن هنا يتضح أن قادة الإحتلال أدركوا منذ المراحل الأولى الأهمية البالغة للدين الإسلامي لدى الجزائريين ووعوا بأن المساس به يعد وسيلة للنيل من مقومات الشخصية الجزائرية ولذلك ارتبط مشروعهم الإستعماري بمحاولة إضعاف البنية الجزائرية

ومن أبرز مظاهر هذه السياسة ما شهده المجال الديني من تراجع ملحوظ حيث كانت تضم قبل الإحتلال حوالي مئة مسجد غير أنه بعد الحملة الفرنسية لم يبق منها سوى القليل نتيجة استيلاء السلطات الاستعمارية على معظمها وتحويلها إلى كنائس وفي هذا السياق صرّح روفيقو وهو الحاكم الفرنسي العام في الجزائر أنه يلزمني أجمل مسجد في المدينة لنجعل منه كنيسة للمسيحيين، وطلب منهم تحويل مسجد كتشاوة العريق إلى كنيسة (أحمد نبيل بلاسي, 1990, ص. 35).

3- الادماج:

أعلن الفرنسيون منذ البداية على لسان قادتهم أن هدفهم هو تمدين الجزائريين المتوحشين أونصف المتمدينين وأن لهم رسالة حضارية يؤدونها وهي تتمثل في إحلال النظم الفرنسية محل النظم الإسلامية القائمة وجعل اللغة الفرنسية هي لغة السيادة ومن ثمة كان هدفهم الوصول إلى نقطة الاندماج حين يصبح المجتمع الجزائري مجتمعاً مفرنساً لغة ودیناً ونظماً ويقصد بالإدماج جعل الجزائريين سياسياً وثقافياً واجتماعياً فرنسيين كما يعني ذلك جعل الجزائر إقليماً فرنسياً (أبو القاسم سعد الله, 1998e, ص. 197) حيث يعد الإدماج من الركائز الأساسية التي قامت عليها السياسة التعليمية الفرنسية.

إلى جانب سياسة الفرنسة والتنصير وقد سعت هذه السياسة إلى تحقيق نوع من المساواة الشكلية والإندماج التام بين الجزائريين والفرنسيين في مختلف المجالات غير أن فرنسا طبقته على الأرض دون الإنسان فالأرض الجزائرية فرنسية أما الإنسان الجزائري يجب إجلاؤه من أرضه والقضاء عليه، والهدف من الإدماج هو القضاء على الوجود العربي بعد دمجه في الكيان الأوروبي وضرب الوطنية والديانة الجزائرية (عبد القادر حلوش, 2010, ص. 75) .

كما استخدمت سياسة الإدماج لطمس السمات المميزة للمجتمع الجزائري فحوربت جميع المؤسسات الإسلامية خاصة بين عامي 1870-1890 وأصبح الإدماج راية الإستيطان المسيرة له (شارل روبير أجيرون, 1982, ص. 105).

فقد أراد الجمهوريون وعلى رأسهم جول فيري إيجاد مدرسة تدعو إلى الإدماج الكلي الذي يشمل جميع الميادين القضاء، الإدارة، الإقتصاد والثقافة وغيرها فالسياسة الإدماجية كانت عند الجمهوريين هي الفكرة الرائدة اتجاها وهدفا، وكانوا يرون

أن التعليم هو العامل الرئيسي لتحقيق هذه السياسة الإدماجية والتي من شروطها الرئيسية فرنسة المجتمع الجزائري. ولتحقيق هذا الإدماج ركزت السلطات الفرنسية على عناصر معينة من السكان التي استفادت من التعليم الفرنسي الإبتدائي والثانوي وأحياناً العالي (عبد القادر حلوش, 2010, ص. 77) .

ويلاحظ أن فرنسا قد نجحت في سياسة الإدماج من حيث الأرض الجزائرية وأسماء المدن والقرى والشوارع فقط ولكنها فشلت في دمج الشعب الجزائري وإذابته في كيانها العام لتمسك الجزائريين بمقومات شخصيتهم القومية ومقاومتهم الصلبة لسياسة الإدماج، الفرنسة، التنصير الرامية إلى القضاء على الشخصية القومية الجزائرية (رابح تركي, 1975, ص. 113)

2.2 المبحث الثاني: المؤسسات التعليمية الفرنسية في الجزائر

احتل التعليم مكانة محورية في السياسة الاستعمارية في الجزائر حيث سعت فرنسا إلى توظيفه كأداة لإعادة تشكيله وفي هذا الإطار أسست المؤسسات التعليمية الفرنسية لتنفيذ هذه السياسة من خلال نشر اللغة والثقافة الفرنسيتين مع فرض نظام تعليمي يخدم أهداف الاستعمار لذلك فإن دراسة هذه المؤسسات تعد مدخلاً أساسياً لفهم ملامح السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر.

1.2.2 المطلب الأول: المدارس العربية الفرنسية

تأسست المدارس العربية الفرنسية في عهد الجمهورية الفرنسية الثانية بموجب مراسيم سنة 1850 لتأخذ طابعاً إدماجياً غير أنها لم تنشر وتنظم على أساس علمي إلا في عهد الإمبراطورية، وكان الغرض الأساسي منها هو نشر التعليم الفرنسي (عبد القادر حلوش, 2010, ص. 54)، وقال كذلك أحد الفرنسيين مبرزاً وموضحاً غرض هذا النوع من المدرسة في 1861: "إن الغرض من نشر التعليم الفرنسي بين الجزائريين عن طريق المدارس المختلطة العربية الفرنسية هو القضاء على المدارس العربية الإسلامية الخاصة والحرة" (Turin Yvonne, 1971, ص. 246).

كان عدد المدارس قليلاً في السنوات الأولى ومحتوى برامجها لا يتجاوز غسل المخ وتوجيه جيل من الجزائريين نحو الفرنسة،(أبو القاسم سعد الله, 1998c, ص. 285) حيث أصدر المرسوم الأول الخاص بتأسيس المدارس العربية الفرنسية على تأسيس ست مدارس للذكور (المادة 1) وأربع مدارس للإناث (المادة 7) (عبد القادر حلوش, 2010, ص. 50). مع مجانية التعليم.

إن مدرسة الذكور أنشئت في كل من الجزائر قسنطينة عنابة وهران مستغانم والبليدة أما مدارس الإناث ففي كل من قسنطينة وهران عنابة والجزائر (جمال قنان, 2009, ص. 40) ، تتكون هذه المدارس من معلمين أحدهما فرنسي وهو مدير المدرسة والأخر مسلم أهلي يكون مساعدا له وهذا الأخير يداوم صباحا والفرنسي يداوم مساءا، فكانت الفترة الصباحية مخصصة لدراسة القرآن الكريم ودروس ملقاة باللغة العربية (Ageron Charles-Robert, 2000, ص. 317). أما الفترة المسائية فخصصت لتعليم مبادئ اللغة الفرنسية والحساب والأكيال والموازين والتاريخ والجغرافية بإشراف معلمين فرنسيين مع إمكانية التوضيح والشرح باللغة العربية حتى يتمكن الأطفال من الإستيعاب ويكون التركيز على تاريخ وجغرافية فرنسا وإهمال أو تشويه التاريخ الوطني وإغفال البطولات العربية الإسلامية والعمل على إحداثية قطيعة ثقافية للمجتمع الجزائري مع ماضية (دبي رابح, 2011, ص. 52).

والفضل في فتح أول مدرسة عربية فرنسية في الجزائر يرجع إلى نابليون الثالث الذي أصدر مرسوما بتاريخ 14 مارس 1857 على أساس أن يلتحق بها 150 تلميذ من أبناء المسلمين والمسيحيين الذين يرغبون في تعلم اللغة العربية واللغة الفرنسية (عمار بوحوش, 1997, ص. 179)

فصدر مرسوم 31 /10 /1863 الذي نص على تأسيس منصب مفتش عام للمؤسسات التعليمية الخاصة بالجزائريين لكل الجزائر، وأصبح عدد المدارس العربية الفرنسية سنة 1864 حوالي 18 مدرسة فقط يتردد عليها حوالي 700 تلميذ (عبد القادر حلوش, 2010, ص. 52)

شهدت سنة 1865م جهود مكثفة من طرف الإدارة تمثلت في إنشاء 12 مدرسة موزعة على عدد من المناطق من بينها ندرومة، سعيدة، زمورة، معاجة، أولاد فارس، برج بوعريريج، تبسة كما عرفت السنة نفسها إنشاء مدرسة بكل من وهران وقسنطينة حيث بلغ عدد التلاميذ المقبلين بها 108 تلميذ وثم غلقت سنة 1871(عمار بوحوش, 1997, ص. 180).

ووصل عدد المدارس العربية الفرنسية 1870 إلى 36 مدرسة بالجزائر كلها 31 مدرسة في المنطقة المدنية و 5 مدارس في المنطقة العسكرية مع 13000 تلميذ (أبو القاسم سعد الله, 1998c, ص. 335) .

غير أن سياسة المدارس المختلطة العربية الفرنسية لم يكتب لها النجاح لمعارضة البلديات لها من جهة بعد أن وضعتها القوانين تحت إشرافها الإداري وعلى نفقتها المالية ورفض الأوروبيين لأي فكرة أو محاولة تريد تأسيس المدارس العربية الفرنسية من جهة ثانية والحقيقة أن المدارس العربية الفرنسية عرفت بعض الظهور والإنتعاش عندما كانت تحت الحكم العسكري بل لقد كانت من إختراعه هو إلا أنها بدأت تميل إلى الزوال والإندثار بسبب (عبد القادر حلوش, 2010, ص. 54) :

1- أنها كانت تحت نفوذ ومراقبة البلديات.

2- عزوف الجزائريين عن هذا النوع من التعليم نتيجة إهمال البرنامج الحكومي للغة العربية إذ اعتبرتدريسها للأطفال الجزائريين محاولة لطمس هويتهم وصبغهم بطابع ثقافي مغاير، عاد الجزائريون إلى اعتمادهم عن الأساليب التعليمية التقليدية من خلال الكتاتيب والزوايا التي. حافظت على ارتباطهم بدينهم وهويتهم وأسهمت في تعزيز روح المقاومة ومواجهة الاستعمار ويظهر ذلك في مقاومة المقراني والشيخ الحداد 1871.

3- أثارت هذه المؤسسات التعليمية حالة من الشك لدى الجزائريين دفعهم بمنع أبنائهم التسجيل فيها لكون مهمة التدريس أسندت إلى معلمين فرنسيين مما يتنافى مع معتقداتهم وتقاليدهم ولم تعوض هذه المدارس لما فقدوه في مؤسساتهم الثقافية الوطنية.

4- إهمال السلطات الفرنسية لهذه المدارس وضعف الإمكانيات المادية وانعدامها أحيانا (دبي رابح, 2011, ص. 61)..

2.2.2 المطلب الثاني: المعاهد الفرنسية

سعت الإدارة الاستعمارية إلى إنشاء معاهد عربية - فرنسية داخل المستعمرة بهدف تكوين نخبة جزائرية مزدوجة الثقافة قادرة على خدمة المصالح الفرنسية، كما عملت المعاهد على إتاحة الفرصة أمام التلاميذ الراغبين في مواصلة تعليمهم بعد المرحلة الابتدائية، بالإضافة إلى تقليل الأفراد من خلال تقريبهم من الحضارة والثقافة الاستعمارية من خلال برامج في هذه المعاهد(عثمان سعدي, 2010, ص. 408).

في 14 / 03 / 1857 أصدر المرسوم لإنشاء المعهد العربي الفرنسي بالجزائر من أجل نشر التعليم بين العائلات المتنفذة والفئات العليا من المجتمع الجزائري، وكان أبناء الرؤساء الجزائريين والعائلات الكبرى وأبناء الفرنسيين أول من التحق بهذا المعهد عند فتحه في بداية سنة 1858. وكان المعهد مخصصا في بدايته 150 طالبا ممنوحا من أبناء الضباط الفرنسيين والرؤساء الجزائريين الذين خدموا ويخدمون القضية الفرنسية (عبد القادر حلوش, 2010, ص. 56)، وكذلك تلاميذ مسلمين في النظام الخارجي على أن تقبل عضويتهم مقابل مبالغ محددة في سنة 1860 - 1861 كان عددهم 69 طالبا مقابل 81 طالب داخلي. ونظرا لعدم إقبال الطلبة على المعهد رغم إهداء المنح كتب مدير الدراسات Delacroix في سنة 1860: "لم يقدم القادة العرب على إرسال أولادهم إلا بعد إلحاح كبير ومنه وجب ممارسة الضغط عليه من طرف الجنرالات كي يرضى بقبول المنحة المهداة". وفي سنة 1863 لم يكن المعهد يضم سوى 104 من التلاميذ المسلمين في النظام الداخلي موزعين على أربعة أقسام تفاوتت مستوياتها (Ageron Charles-Robert, 2000, ص. 590)، مع ضعف الإقبال عليه ويرجع ذلك إلى تخوف العائلات المسلمة من تأثير هذا النظام على أبنائهم بسبب مخالفتهم للأعراف الإسلامية خاصة ما يتعلق بنمط العيش والتغذية إضافة إلى خشيتهم من ابتعادهم عن التعليم الديني

كما أن العائلات لم تكن مهتمة كثيرا بالتعليم الكلاسيكي ومضامينه، إلى جانب غياب التحضير المسبق لهذه الدراسات وهو ما ساهم في قلة عدد الملتحقين وقد أدى ذلك إلى تدني مستوى التلاميذ، حيث لم يتجاوزوا في الغالب تعلم القراءة والكتابة بالعربية والفرنسية بينما ظل آخرون في مستوى أولي في الحساب والرسم ورغم ذلك تراجعت هذه التخوفات تدريجيا وازداد عدد الطلبة نسبيا غير أن المعارضة استمرت إذ عملت بعض الهيئات على إقناع الأهالي بضرورة تعليم أبنائهم وتوجيههم نحو المؤسسات الحديثة مع التأكيد على أهمية توفير مؤسسات خاصة تضمن لهم ظروف ملائمة وتحافظ على خصوصياتهم (Ageron Charles-Robert, 2000, ص. 590-591)

وفي 16 جوان 1865 صدر مرسوم إمبراطوري آخر نص على تأسيس معهدين آخرين في كل من قسنطينة ووهران وكان الهدف من المعاهد تقليص التلاميذ الملتحقين بالمدارس العربية الإسلامية الخاصة ومنافستها للتقليل من النفوذ المعادي للوجود الفرنسي (عبد القادر حلوش, 2010, ص. 57) . ويبدو أن هذه التوجهات لم تكن معزولة، بل جاءت منسجمة مع سياسة إصلاحية أوسع قادها وزير التعليم العمومي الفرنسي Duruy Victor الذي رأى ضرورة إدماج التعليم العملي والعلمي بدل الإقتصار على الدراسات الأدبية التقليدية باللغة العربية ولذلك قرر تطبيق قانون 21 جوان 1865 الذي ينص على توجيه التعليم نحو معايير جديدة وإنشاء تعليم ثانوي خاص وكان يهوى ترديد العبارة التالية: "إن تكوين شخص عربي كيميائي أو فيزيائي أو ميكانيكي أفيد من تكوين فرقة من الزواوة" (Ageron Charles-Robert, 2000, ص. 591) .

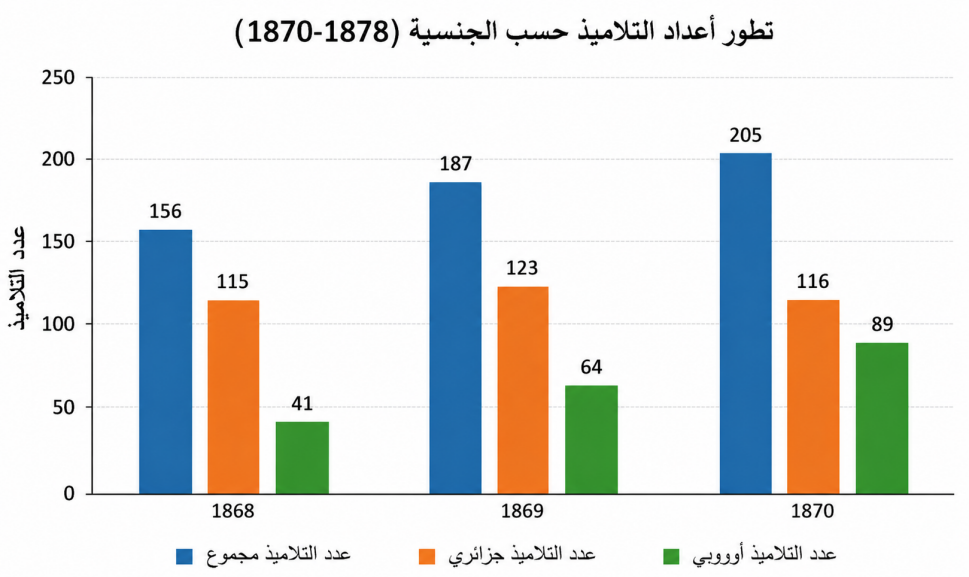
والجدير بالذكر أن مجموع الطلاب المتخرجين من المعهد كانوا يتوجهون إلى إدارة القبائل أو الجيش، أي العمل بالمكاتب العربية والأعمال الإدارية الأخرى، وكان بعض المحظوظين يتابعون الدراسة في المعاهد الفرنسية بفرنسا (عبد القادر حلوش, 2010, ص. 57)

إلا أن معهد وهران لم يرى النور مطلقًا وبقي حبرًا على ورق، أما معهد قسنطينة فقد فتح أبوابه أمام التلاميذ في بداية شهر جانفي 1867 ليستقبل مائة وإثني عشر تلميذًا جزائريا وأربعة أوروبيين وأن عدد تلاميذ معهد الجزائر المنتظمين سنويًا كان يزيد عن مائة تلميذ (جمال قنان, 2009, ص. 40).

وبذلك أصبحت هذه المعاهد عربية الشكل وأوروبية المضمون، ومن خلال هذه الإحصاءات لعدد التلاميذ نرى بوضوح الطابع الفرنسي لهذه المعاهد بالرغم من أنها تأسست لتعليم الجزائريين وكان الوضع في معهد قسنطينة أفضل عند

افتتاحه غير أن الأمور تطورت منذ سنة 1867 لصالح الفرنسيين.

السنوات	عدد التلاميذ	جزائري	اوروبي
1868	156	115	41
1869	187	123	64
1870	205	116	89



شكل 1.2: عنوان الصورة

ولما جاء الحاكم العام المدني دو ڤيدون وضع حدا لهذه المعاهد بعد سنة 1870 فألغى معهد الجزائر وألحقه بثانوية الجزائر العامة في إرضاء مطالب الأوروبيين (عبد القادر حلوش, 2010, ص. 58-59)

3.2.2 المطلب الثالث: المدارس الشرعية الثلاث

شهد النظام التعليمي في الجزائر خلال القرن التاسع عشر في ظل الحكم الاستعماري الفرنسي تحولات عميقة مست بنيته ووظائفه حيث عملت الإدارة الفرنسية على التدخل في التعليم التقليدي وتقليص دوره داخل المجتمع كما سعت إلى بسط رقابتها على المجال الديني من خلال إعادة تنظيمه فأنشأت مدارس حكومية إسلامية ذات طابع رسمي عرفت بالمدارس الحكومية الثلاث بهدف إخضاع التعليم الديني للإشراف المباشر للإدارة الإستعمارية وتوجيهه وفق سياستها (أبو القاسم سعد الله, 1998c, ص. 370) .

وقد صدر مرسوم بإنشاء هذه المدارس في 30 سبتمبر 1850 الذي ينص على إنشاء ثلاث مدارس في كل من قسنطينة، تلمسان والمدية والهدف من هذه المدارس هو تخريج موظفين وإطارات من أجل خدمة الإدارة الفرنسية(Charles-Robert Ageron, 2000, ص. 394) وكان الهدف الحقيقي والخفي من هاته المدارس هو إبعاد السكان عن تأثيرات رجال الدين الجزائريين في الزوايا والمساجد والمدارس الحرة وكذلك حاولت منافسة الزوايا في البلاد المجاورة كالمغرب وتونس حتى ينتقص من قيمتها ووزنها العلمي بتخفيض عدد طلابها من الجزائريين وإبقاؤهم في الجزائر لمتابعة الدراسة العالية في المدارس الإسلامية الحكومية (عبد القادر حلوش, 2010, ص. 59) ويشمل برنامج التعليم في هذه المدارس على المواد التالية: النحو والأدب العربي، الفقه والتوحيد يتشكل الإطار التربوي من كل من المدير الذي يقوم في نفس الوقت بتدريس إحدى مواد البرنامج وأستاذين آخرين يتم تعيينهم من طرف وزير الحربية. بناء على اقتراح الوالي العام على اعتبار كون هذه المؤسسات هي تحت إشراف وزير الحربية التي يمارسها عن طريق قياد الفرقة العسكرية في المقاطعات الثلاث بواسطة المكاتب العربية كما أن مصاريف التأسيس والتسيير تقتطع من ميزانية الوزارة (جمال قنان, 2009, ص. 47).

وللالتحاق بالمدارس الشرعية الثلاث يشترط أن يقدم طلب للالتحاق بالمدرسة لرئيس المكتب العربي بالناحية الذي يقوم بتحويله إلى قائد الفرقة الفرعية حيث يقابل رئيس الدائرة في الإدارة المدنية مرفقا بملاحظاته حول شخصية صاحب الطلب وهذا الأخير يحوله بدوره إلى قائد الفرقة في المقاطعة الذي يبت في طلبات القبول ويرسل قرار بذلك إلى مدير المدرسة (جمال قنان, 2009, ص. 48).

وتظهر هذه السياسة التعليمية إشتراط إتقان اللغة الفرنسية كشرط أساسي للالتحاق بالتعلم مما يجعل الوصول إلى التعليم مقتصرا على فئة محددة من الأفراد الأمر الذي أدى إلى إقصاء عموم السكان من حق التعلم واقتصاره على فئة تبدي ميولا نحو الثقافة الفرنسية وتندمج فيها (تركي رابح عمامرة, 2001, ص. 395) و قع الإختيار على هذه المدارس في كل من تلمسان والمدية وقسنطينة وذلك كونها مراكز حضرية كبرى تقوم بأدوار متعددة في تاريخ الجزائر ففي قسنطينة باعتبارها عاصمة البايلك الشرق منذ العهد العثماني ومركزاً مهماً للإشعاع الثقافي وعين على رأس مدرسة قسنطينة الشيخ الشاذلي بن عيسى فعلمه الواسع إلى جانب الخدمات التي قدمها بحكم منصبه كقاضي كما عين إلى جانبه الأستاذ المكي التعالبي لتدريس مادة الفقه وسي الحاج مبارك لتدريس مادة التوحيد وبالنسبة لمدرسة المدية فقد عين على رأسها سيدي الهواري بن أحمد الذي يشغل وظيفة المفتي وهوكفء لتدريس مادتي النحو والتوحيد وعين معه أستاذين وهما الأستاذ الميسوم بن محمد الذي يحظى بمكانة بارزة فهو خريج مدرسة مازونة الشهيرة والأستاذ سي محمد بن علي هوأهل لتدريس كل من مادتي النحو والفقه ولم تنطلق الدراسة في مدرسة المدية إلا بعد ما تم تحويلها إلى البليدة أما في تلمسان قد اشتهرت بعلمائها وصلحاءها ومساجدها ومدارسها (أبو القاسم سعد الله, 1998c, ص. 372)

كانت مهمة التدريس فيها إلى عناية 1859مقتصرة على مدرسين يزاولون التدريس وفق الصيغة التقليدية وفي سنة 1857 صدر مرسوم ثان يدعم مرسوم 1850 ويزيد من نفور التلاميذ الجزائريين لهذه المدارس وذلك بفرضه شهادة الكفاءة الإجبارية للطلاب مع العلم أن الطالب لا يحصل على هذه الشهادة إلا بعد أن يكون قد تابع دراسته الابتدائية في المدارس العربية الفرنسية (الحكومية) وأكثر من ذلك يجب أن يبدي الطالب ولاءه للسلطات الفرنسية (عبد القادر حلوش, 2010, ص. 59).

مع بداية الستينيات رأت الإدارة أنه من الضروري إدخال بعض التعديلات على البرنامج وذلك بإدخال جرعات خفيفة من الروح الفرنسية إلى هذه المؤسسات من شأنها أن تشكل حاجزا في وجه التعصب الديني حيث أدخلت مادة

اللغة الفرنسية ومادة الجغرافيا والحساب وإطلالات خفيفة عن التاريخ نجم عن هذا التعديل توزيعا جديدا لمواد المقرر على السنوات الثلاثة فمادة الفقه أصبحت حصتها في الأسبوع أربع ساعات في السنة الأولى وأربع ساعات في السنة الثانية وساعتين في السنة الثالثة مع تكثيف الحجم الساعي للغة الفرنسية والحساب والجغرافيا وألغيت في المقابل مادة التوحيد التي تشكل إحدى المواد الأساسية التي نص عليها المرسوم التأسيسي وبالرغم من أن تعليم المدارس الاسلامية الثلاثة يعتبر تعليما عاليا (جمال قنان, 2009, ص. 55). لكن يمكن إدراجه ضمن التعليم الإبتدائي.

إلا أن هناك دلائل كثيرة تشير إلى ذلك منها أن برامج هذه المدارس الإسلامية تشبه إلى حد ما المدارس الابتدائية ولا يمكن أن نصنفها حتى مع مستوى التعليم الثانوي حيث يقوم تلامذته بتحسين المعلومات التي أخذوها سابقا أي في المدارس الابتدائية ويرجع هذا كذلك إلى ضعف مستوى المدرسين أنفسهم في هذه المدارس التي لم يكن هدفها تثقيفي تربوي في الأساس بقدر ما هو محاولة ذات طابع سياسي لموازنة ومنافسة المدارس الإسلامية الحرة التي كانت وظلت تستقطب أنظار كل الأولياء والتلاميذ أي كل الجزائريين.(عبد القادر حلوش, 2010, ص. 140)

وتعود أسباب فشل المدارس الإسلامية الثلاث إلى:

1- غياب الإدارة الجيدة والرقابة الدقيقة للدروس.

2- تدني مستوى المدرسين أنفسهم أثناء توظيفهم بهذه المدارس.

3- ارتفاع عُمر الطلاب بحيث كان أكثرهم مسنين. لأن المدرسة لم تجعل مستقبل المتخرج زاهرا، وقد جعلت المناصب التي يمكنه الحصول عليها ذات مردود قليل.(عبد القادر حلوش, 2010, ص. 61)

3.2 المبحث الثالث: المؤسسات الدينية المسيحية في الجزائر

شهدت الجزائر خلال الفترة الاستعمارية نشاطا ملحوظا للمؤسسات الدينية المسيحية التي لعبت دورا يتجاوز الإطار الديني ليشمل المجال التعليمي، فقد ساهمت هذه المؤسسات في نشر التعليم المرتبط بالثقافة الفرنسية مما جعلها من الأدوات التي دعمت توجهات السياسة التعليمية الفرنسية ومن هذا المنطلق فإن دراسة هذه المؤسسات تندرج ضمن فهم أوسع لآليات تنفيذ تلك السياسة وأهدافها في المجتمع الجزائري.

1.3.2 المطلب الأول: تأسيس الأسقفيات بالجزائر والجمعيات التنصيرية

لم يهدا بال المسيحيين لمصير الاحتلال بالرغم من الخطوات التي قطعها التوسع الاستعماري بعد مرور ثماني سنوات على احتلال الجزائر لأن المسيحية لم تتركز فيها وبصفة مستقرة، (خديجة بقطاش, 2007, ص. 50) كما سعت السياسية الاستعمارية في الجزائر إلى تحقيق التجانس الديني والثقافي من خلال فرض دين واحد ولغة واحدة بما يضمن اندماج المستوطنين داخل مجتمع موحد يخدم أهدافها حيث اتجهت هذه السياسة إلى إحياء الدور الكنسي في المنطقة بعد تراجعه منذ الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا، حيث تجسد ذلك عمليا في تأسيس الأسقفيات وتنشيط الحركات التنصيرية خاصة مع إنشاء الأسقفية بالجزائر سنة 1838م بالتنسيق مع البابا قريقوار والملك لويس فيليب وعين أنطوان ديبوش بالجزائر 1838 (فاطمة الزهراء سليمي, 2008, ص. 122) ووجد ديبوش قبله سبعة قساوسة منهم أربعة في العاصمة واثنان في عنابة وواحد في وهران (أبو القاسم سعد الله, 1998e, ص. 108).

1- جاء الأسقف ديبوش متحمسا للمسيحية يدفعه في ذلك طموحه في إحياء الكنيسة الإفريقية وإلى تنصير السكان وقد عبر عن ذلك قائلا:

"يجب أن تكون رسالتنا بين الأهالي... وينبغي علينا أن نعرفهم بدين أجدادهم الأولين بالخدمات الخيرية" (خديجة بقطاش, 2007, ص. 52).

لقد كان ديبوش الذي قضى سبعة سنوات على أسقفية الجزائر 1838 - 1845، تميز بطغيان الجوانب المادية على تصرفاته لما جعل الحكومة الفرنسية تنظر إليه بعين الإعتبار (أبو القاسم سعد الله, 1998e, ص. 109) ولما استقبل الملك لويس فيليب القس ديبوش صرح له هذا الأخير قائلا:

"لا يكون العرب فرنسيين إلا عندما يصبحون مسيحيين ويتوقف ذلك علينا اليوم فلتعد الحياة إلى إفريقيا المسيحية"(خديجة بقطاش, 2007, ص. 52).

عمد الأسقف ديبوش على تنشيط عملية التبشير حيث قام بتقديم حوافز مالية مقدرة بـ 20 فرنك لكل من يواظب على الإستماع للتلاوة الدينية داخل الكنيسة و 50 فرنك لمن يقبل التعميد كما خصص يومي الإثنين والخميس لتوزيع الخبز على الفقراء والمحتاجين أمام الأسقفية، وبعد أن واجه صعوبات في استقطاب الكهول إتجه إلى استهداف فئة الأطفال المشردين والمحرومين نظراً لسهولة التأثير عليهم ومرونة تقبلهم للأفكار التبشيرية ويتضح أن ديبوش ركز على الفئات الهشة في المجتمع معتقداً أن الجزائريين قد يستجيبون للتنصير مقابل إمتيازات مادية، وقد تزامنت فترة توليه شؤون الأسقفية مع مرحلة اتسمت بالتشدد إتجاه المؤسسات الدينية الإسلامية حيث عمل على تحويل عدد منها إلى جانب البعض الآخر لإستغلال الإدارة الفرنسية في مجالات مختلفة (محمد الطاهر وعلي, 2009, ص. 37)

وفي سنة 1839 استقبل الأسقف ديبوش القسيس سوشي الذي يعتبر المساعد الأيمن له أي مباشرة بعد تأسيس الأسقفية بكل لطف، فأرسل إلى مدينة قسنطينة وأثناء وجوده في المدينة كون سوشي علاقات مع رؤساء الشؤون الدينية والمدنية، وإستطاع أن يؤسس معبد مسيحي بتحويله لمسجد أحمد باي إلى كنيسة ووصل به الأمر إلى أن طالب بمنبركان يوجد في أحد المساجد القديمة فتم له ذلك وبهذا مهد لزيارة الأسقف إلى قسنطينة وعنابة في فيفري 1839 (خديجة بقطاش, 2007, ص. 53).

توجه ديبوش إلى عدة وسائل أكثر نجاعة في نشر الدعوة التبشيريةوءذلك نحو استغلال المؤسسات الإستشفائية بإعتبارها فضاءات ملائمة للإقتراب من المرضى حيث يستطيع المبشر التواجد في غرف الإستشارة وحجرات المرضى مما يتيح له فرصاً أكبر للتأثير فيهم ونشر أفكاره الدينية، كما عهد المبشرون إلى توظيف الراهبات الممرضات في خدمة أهدافهم التبشيرية، إذ لم يقتصر دورهن على تقديم الرعاية الصحية فحسب، بل كن يحملن رسالة دينية موجهة إلى المرضى وقد أسند الأسقف هذا النشاط داخل مستشفيات مدينة الجزائر إلى راهبات أخوات القديس فنسنت دو بول المنتميات إلى جماعة العازريين خاصة بعد ما أظهرنه من نجاح في مجال التمريض، وقد بلغ عدد هؤلاء الراهبات في المستشفيات نحو ثلاثين راهبة تميزن بالكفاءة المهنية وحسن المعاملة مع المرضى وهو ما مكنهن من الشروع في تنفيذ مراحل العمل التبشيري بشكل تدريجي ومنظم (Riancey Charles, 1856, ص. 263) وبدأن خطتهن في التنصير بالمراحل التالية:

1- إقامة الصلوات أمام المرضى وتكليفهم بالمشاركة في ذلك.

2- توزيع الصلبان على بعض العجزة من المرضى وتعليق بعضها في حجراتهم.

3- إيجاد الفرص الملائمة للتحدث مع المرضى في الشؤون الدينية على شكل توجيه أخلاقي.
4- إرغام أحد المرضى وهو في حالة احتضار على قبول التعميد بغير رضاه. (خديجة بقطاش, 2007, ص. 57)

بلغ عدد الجمعيات التنصيرية التي وفدت إلى الجزائر في عهد الأسقف ديبوش تسع جمعيات، ومنها ما يلي:

1- جمعية الآباء اليسوعيين (Les jesuites) :

ويعود مجيئ الآباء اليسوعيين إلى هذه الفترة حيث مارسوا منذ سنة 1840 مهام القساوسة المساعدين ووظائف الكهنة بمراكز الاعتقال فهم الذين أقامو مؤسسة القديس رجيس وأسسوا في سنة 1842 داراً لليتامى بابن عكنون والتي كانت تضم 110 أطفالاً وكانوا قد استقروا في نفس الوقت بقسنطينة حيث كان لهم العلاج والإرشاد بالمستشفى الإسلامي بالإضافة إلى تكفلهم بمدرسة تابعة للبلدية ولم تحل سنة 1844 حتى وصلوا إلى وهران (عبد الحميد زوزو, 2009, ص. 242) وقد قال جوردان رئيس الجمعية:

"إن الغرض من رسالتنا في إفريقيا هو تنصير العرب" (خديجة بقطاش, 2007, ص. 60)

2 - جمعية الراهبات الثالوثيات (Les religieuses trinitaires)

وفدت هذه الجمعية التنصيرية إلى الجزائر في 26 نوفمبر 1840 واستقر أعضاؤها بوهران برفقة السيد كروزات crouzat مرشد الثالوثيات وفي شهر مارس 1841 اقاموا بفتح ثلاث مدارس للتعليم المجاني الموجه إلى حوالي 150 طفلا وفي سنة 1849 قامت بتسيير المدارس البلدية بمستغانم وبعد صدور مرسوم 22 مارس 1852 الذي سمح للجمعيات التنصيرية بتقديم التعليم بالمدارس من البلدية قامت هذه المدارس البلدية في المدن والقرى إلى غاية حدود المغرب الأقصى في كل من المدن التالية تيارت سعيدة مغنية... الخ وبعد صدور مرسوم 30 أكتوبر 1886 الذي يمنع أعضاء الجمعيات التنصيرية من تقديم التعليم في المدارس العمومية، قامت هذه الجمعية بفتح مدارس حرة في القرى التابعة لمدينة وهران حيث وظفت 300 راهبة ثالوثية في التعليم، وكان يتقدم التعليم إلى حوالي 2000 طفل، كما قامت هذه الجمعية في سنة 1849 بفتح مستشفى للنساء والأطفال وملحقات تابعة له على مستوى وهران، كما قدمت الجمعية خدمات في مستشفيات عسكرية بعد استدعائها من طرف الجنرال Pelissier حيث أشرف أعضاؤها على المستشفى العسكري لوهران والمستشفى العسكري لدى سيدي بلعباس 1861 كما قدموا الخدمات الصحية في المستشفيات المدنية وإلى جانب هذا قاموا بإنشاء مركز لليتامى سنة 1844 م. (حميد قريتلي, 2013, ص. 318-319)

3 - أخوات العقيدة المسيحية Les soeurs de la doctrine chretienne

تندرج جمعية أخوات العقيدة المسيحية ضمن الهيئات الدينية التي نشطت في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية حيث وصل أعضاؤها إلى مدينة الجزائر بتاريخ 21 ماي 1841 بدعوة من أنطوان ديبوش ومن أعضاء هذه الجمعية الأخت كولان ،colin بن جامان تيسران Benjamin Tisserand ، ثيراز Therez وعلى رأسهم لويز Louise وقد انخرط أعضاء هذه الجمعية في مجالي التعليم والصحة حيث ساهموا في تقديم خدمات تربوية وصحية قبل أن يستقر نشاطهم لاحقا في عدة مناطق من بينها عنابة، وقسنطينة، وسكيكدة في إطار توسيع نطاق عملهم الديني والاجتماعي. (M de Xavier, د.س, ص. 72)

4. راهبات الباستور الطيب (Les religieuses du Bon Pasteur) :

اللائي أسسن ملجأ الباستور الطيب في الجزائر سنة 1843م ومعبد مسرغين في وهران سنة 1843 ومعبد قسنطينة

1855م (محمد الطاهر وعلي, 2009, ص. 36) واستقرت راهبات باستور الطيب بحي الأبيار حيث أسسن مأوى تمكن من استقبال 30 من التائبات.

5. راهبات القلب المقدس (Les religieuses du Sacré Cœur) :

فقد عمدن على فتح مدرسة للفقراء وأخرى بنظام داخلي بمصطفى تضم 90 طفلاً كان ذلك في سنة 1842 (عبد الحميد زوزو, 2009, ص. 242) .

6. جمعية الترابيست (Les trappistes de Staouëli) :

قدم رهبان جمعية الترابيست إلى الجزائر سنة 1843 حيث منحوا ديراً في منطقة سطاوالي بضواحي مدينة الجزائر وقد انخرطوا في استصلاح الأراضي وممارسة النشاطات الفلاحية إلى جانب تربية الحيوانات وبلغ عدد أفراد هذه الجماعة مائة وثمانية راهباً (شعوب كامل نصيف, 2017, ص. 74).

7. إخوان القديس جوزيف دي مانس:

استقر إخوان القديس جوزيف دي مانس في مدينتي عنابة وسكيكدة خلال سنتي 1843 - 1844 حيث تولوا تسيير المدارس البلدية فيهما وقد قدّر عدد التلاميذ الذين أشرفوا على تعليمهم بحوالي 270 تلميذا (عبد الحميد زوزو, 2009, ص. 242).

ويلاحظ أن تزايد عدد الجمعيات التبشيرية في الجزائر خلال الأسقف ديبوش يعود إلى عدة عوامل من أهمها:

- رغبة المبشرين في استغلال الوجود الاستعماري للعودة إلى الجزائر ونشر الديانة المسيحية بين المسلمين خاصة بعد تعثر محاولاتهم قبل الاحتلال.

- الحماس الديني الذي ميز الأسقف ديبوش، إذ كان يرى أن نجاح التبشير يتطلب زيادة عدد المبشرين.

-تزايد عدد المستوطنين الأوروبيين مما استدعى إنشاء مؤسسات دينية تشرف عليهم وتُعنى بتربية أبنائهم وفق التعاليم المسيحية

-اعتماد الاستعمار الفرنسي على نشر الثقافة الفرنسية والدين المسيحي بهدف التأثير على المجتمع الجزائري، ومحاولة إضعاف مقوماته الأساسية خاصة الدين الإسلامي واللغة العربية.

-الشعور بضرورة تنظيم الشأن الديني المسيحي في الجزائر خاصة بعض المواقف التي أظهرت ضعف الإهتمام بالدين من طرف بعض المسؤولين العسكريين.

وقد أدت هذه العوامل إلى تزايد عدد الإرساليات التبشيرية في الجزائر حيث سعت إلى دعم الوجود الاستعماري، وترسيخه من خلال التأثير على المجتمع الجزائري، ومحاولة تغيير بعض مقوماته الأساسية (محمد الطاهر وعلي, 2009, ص. 41).

2. الأسقف بافي :

عقب وفاة "ديبوش" تولى الأسقف "بافي" مهامه رسمياً بموجب مرسوم الصادر في26 فيفري 1846 ليصل إلى الجزائر في 9 جويلية من السنة نفسها، وقد كان آخر "أسقف" يعيّن من قبل الدولة حيث سعى منذ بداية توليه إلى إعادة تنشيط العمل التبشيري، وتنظيمه حيث عرفت المؤسسات الكنسية توسعاً ملحوظاً إذ بلغ عدد الكنائس 29 كنيسة، إلى جانب إنشاء مؤسسات تعليمية وخيرية مثل المدارس وديار الأيتام التي تجاوز عددها 23 مؤسسة ورغم محدودية الموارد المالية فقد عمل الأسقف على تأمين دعم من الدولة الفرنسية التي خصصت مبالغ مالية معتبرة لدعم رجال الدين والجمعيات التبشيرية حيث

قُدّرت هذه الإعانات بحوالي 71029 فرنك سنة 1846 (l'abbé-Léon) Gadart), د.س, .p 24-25). وخلال فترة إشرافه أنشئت المدرسة الإكلركية الكبرى بالقبة والمدرسة الإكلركية الصغرى بسانت أوجين لتكوين الكهنة والقساوسة في مكان القنصلية الفرنسية. كما أولى إهتماماً بالغاً لعملية تنصير الجزائريين من خلال معاشرتهم والحديث معهم حول القرآن والإنجيل، وبدأ يكتب لهم الرسائل المطولة ويقنعهم بأسلوبهم ويروي لهم تماشياً مع إستراتيجية سلفه دوبوش لم يتوان بافي في تعميد الأطفال الجزائريين الذين لم يبلغوا العاشرة من عمرهم أمام الرهبان ومفتشي الشرطة، كما انتهج نهجه في بناء الهياكل الدينية المسيحية لإضفاء الصبغة المسيحية على الجزائر ولعل أبرز عمل قام به في هذا الميدان منح البركة لأول حجرة لبناء كاتدرائية السيدة الإفريقية Notre DAME D'AFRIQue ، كما أنه شارك في أعماله الأولى، مما يشكل تطبيقاً عملياً لكلمات فيكتور هيغو Victor Hugo بأن الكاتدرائية عبارة عن إنجيل يتكلم (سعيدي مزيان, 2000, ص. 19).

ومن النشاط التبشيري الذي قام به الأسقف بافي الطعن في الإسلام ويتفق المؤرخ بورنسيثون مع الأسقف في ذلك حين يقول:

"ولتجزئة الكتلة الإسلامية لا بد من تنظيم خاص و جيش من الرجال"،

إذ ينبغي أولاً وقبل كل شيء تعلم اللغة العربية عن طريق تكوين مدرسة دينية لتقوم بهذه العملية الكبرى" وتعلم اللغة العربية في نظر المبشرين أمر ضروري يمكنهم من التقرب إلى المسلمين، وفهم واقعهم وعلا هذا الأساس فكر الأب بريمولت اليسوعي في إنشاء مدرسة دينية وألح على ذلك إلحاحاً شديداً، وقد أيده في ذلك الأب جوردان رئيس فرقة اليسوعيين بالجانب. فكاتب رئيس مركز مدينة ليون وباريس في يوم 26 ديسمبر 1849 يقول:

" أن الأب مايار Mayard مستعد للقيام بالمشروع الذي خططه لكم الأب بريمولت وهو مشروع يومي إلى تكوين سريع للمبشرين يخصصون للبلدان الناطقة باللغة العربية" (خديجة بقطاش, 2007, ص. 65).

كما قام بتوسيع كاتدرائية سان فيليب ودعم الجمعيات التنصيرية بعثات تابعة لجمعية الجزويت وفتحه لمدارس وملاجئ للأيتام في منطقة القبائل التي كانت أساساً في المشروع التنصيري.(Augustin F., 1984, ص. 116)

ومن الجمعيات التنصيرية التي وفدت في عهد الأسقف بافي:

1- إخوان العقيدة المسيحية Les Frères des Doctrinne chrétienne : نشطت عبر مؤسسات دينية تعليمية وذلك بالسماح لها سنة 1853م بتأسيس مدارس في مختلف مناطق البلاد شملت كل من الجزائر العاصمة، البليدة، وهران، سيدي بلعباس وقسنطينة (محمد الطاهر وعلي, 2009, ص. 37).

1. إخوان المدارس المسيحية Les Frères des écoles chrétiennes :

هذه الجمعية وفدت إلى الجزائر بطلب من الأسقف "بافي" بعد صدور مرسوم 24 جويلية 1852، ومنذ سنة 1854قامت بفتح وتسيير حوالي 20 مدرسة تعليمية في كل من الجزائر العاصمة، وهران، البليدة، قسنطينة، سيدي بلعباس، مستغانم، مليانة، سكيكدة، وعنابة، كما أشرفت على ملاجئ الأيتام في كل من مركز بن عكنون، والحراش سنة 1868، إلا أنها منعت من تقديم التعليم في المدارس بعد صدور قانون المنع سنة 1888 م. (حميد قريتلي, 2013, ص. 327)

3. أخوات الإحسان Les soeurs du bon secours:

من أبرز الجمعيات التبشيرية التي نشطت في الجزائر خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حيث تم استقدامها من طرف الأسقف "بافي" سنة 1855 واستقرت بداية في وهران قبل أن توسع نشاطها إلى مدن أخرى مثل مستغانم، سيدي

بلعباس، غليزان، معسكر، تلمسان، وقد قامت هذه الجمعية بأدوار متعددة شملت الرعاية الإجتماعية والصحية من خلال إنشاء مراكز لإيواء المرضى وتقديم الخدمات الطبية إضافة إلى نشاطها الديني التبشيري ورغم توسعها الجغرافي واجهة الجمعية صعوبات مادية أدت إلى تقليص بعض فروعها غير أنها والروابط، والمصحات وتقديم الخدمات الطبية، هذا بالإضافة إلى إنشاء الملاجئ التبشيرية، ورغم توسعها الجغرافي واجهت الجمعية صعوبات مادية أدت إلى تقليص بعض فروعها غير أنها استفادت من دعم السلطات المحلية خاصة في وهران مما ساعدها على الإستمرار لفترة معتبرة كما إمتد نشاطها إلى قسنطينة حيث إستقر بعض أعضائها وواصلو تقديم خدماتهم لسنوات طويلة (Repetticci Chanoine, 1930, ص. 129)

إلا أن نشاط الجمعية عرف نهاية حاسمة مع صدور قانون 1904 الذي منع عمل الجمعيات المسيحية ما أدى إلى إنسحابها النهائي من الجزائر

2.3.2 المطلب الثاني: التنصير في عهد الكاردينال لافيجري

فبعد وفاة الأسقف بافي سنة 1866 وما ترتب عنها من شغور في منصب رئاسة أسقفية الجزائر بادر الحاكم العام ماكمهون إلى اقتراح تعيين لافيجيري الذي كان يشغل آنذاك منصب رئيس أسقفية نانسي بفرنسا ولقد استجاب لافيجيري لهذا التكليف فغادر بلاده متجها نحو الجزائر مدفوعا بطموح كبير في إطلاق مشروع تبشيري مسيحي بالمنطقة (سعيدي مزيان, 2000, ص. 63) وصل لافيجيري إلى الجزائر في 15 ماي 1867 وقد جعل من بين أهدافه الرئيسية مايلي:

جعل الجزائر نقطة انطلاق في تنصير إفريقيا

إحياء الماضي النصراني الروماني للمنطقة

جعل التنصير ركنا أساسيا في البناء الاستعماري لاسيما بعد إتحاد الكنيسة مع أقطاب الإحتلال الفرنسي على وجه الخصوص (أحميدة عميراوي وآخرون , 2009, ص. 109)

وتزامنت فترة تولي الكاردينال لافيجيري رئاسة أسقفية الجزائر مع موجة المجاعة التي اجتاحت بعض مناطق الجزائر خلال الفترة الممتدة مابين 1866 و 1868 وقد استغل لافيجيري هذه الظروف الصعبة من أجل تجميع عدد من الأيتام الجزائريين وذلك بعد حصوله على موافقة عدد من الأيتام الجزائريين وذلك بعد حصوله على موافقة السلطات العسكرية إلى جانب تلقيه دعما ماليا من بعض المستوطنين الفرنسيين والمؤسسات المدنية والعسكرية حيث عمل على إنشاء ملاجئ لإيواء هؤلاء الأيتام مقابل اخضاعهم لتربية مسيحية غير أن هذا المشروع قوبل برفض شديد من طرف السكان المحليين وبلغ عدد اليتامى الذين تم نقلهم إلى هذه الملاجئ 1753 طفلا وكما قام بتأسيس مراكز فلاحية مخصصة لهؤلاء الأيتام (Félix Klim, 1897, p. 114) وذلك باسم الصليب ونظرا للأهمية البالغة للمشروع الذي سعى الكاردينال لافيجيري إلى تنفيذه فقد حظيت أنشطته بدعم وتشجيع كبيرين من قبل السلطات الاستعمارية التي رأت فيها وسيلة لخدمة مصالحها في الجزائر وقد عبر العالم ديفيدون عن هذا الدعم من خلال تأييده الصريح للافيجيري، إذ صرح قائلا أنه كرس حياته للدفاع عن الإرساليات التبشيرية في مختلف أنحاء العالم وأنه لا يمكن القبول بتعرضها لأي اضطهاد على الأراضي الفرنسية (George Baunard, 1886, ص. 372).

إن التبشير الذي يريده لافيجيري، هو ذلك الذي يعمل على الإدماج عن طريق التبشير وليس الإدماج الذي يتم عن طريق القوة ولذلك قام باستغلال الفرصة في ظل هذه الظرفية الكارثية ففي 20 فيفري 1868 وجه لافيجيري نداء لكل الصحف الكاثوليكية يصف فيه المجاعة وبعث رسالة إلى كل رجال الدين يطلب منهم قراءة كل ما جاء في النداء في مختلف

المراكز الدينية والكنائس لتعريف الفرنسيين بالمأساة رغبة في الحصول على المساعدات المالية وقد تم ذلك بحصول لافيجيري على تبرعات مالية مبلغها ثمانمائة ألف فرنك لصالح الملاجئ ، وأمام هذا جند لافيجيري فرق دينية من الرهبان والراهبات لمعالجة الأطفال المصابين بوباء الكوليرا والجدري وذلك من أجل تنصير اليتامى الصغار عن طريق التعليم لأنه أدرك أنه من الصعب تنصير الكبار فلجأ إلى اليتامى الصغار (خديجة بقطاش, 2007, ص. 113--114).

حيث خاطب لافيجيري رجال الدين قائلا:

" يجب أن نجعل من الأرض الجزائرية مهدًا للأمة الفرنسية المسيحية، وينبغي أن ننشر حولنا الأضواء الحقيقية المستوحاة من الإنجيل، وأن نحملها إلى الصحراء وإلى العالم الإفريقي الذي يعيش حياة بربرية ونعمل على ربط وسط أفريقيا بشمالها".

ويريد لافيجيري بهذا التصريح بسط النفوذ الكاثوليكي الفرنسي في أفريقية. قبل أن تشرع في ذلك سياسيا وعسكريا ولن يتم ذلك إلا بتحبيب فرنسا باسم السيد المسيح فالمبشر كان يسبق الجيش في كل مكان ليمهد الأرض اللازمة للنفوذ السياسي والعسكري.(علي محمد محمد الصلابي, 2015, ص. 688)

أما فيما يخص الجمعيات الدينية خلال فترة حكمه فقد استمرت في ممارسة نشاطها التبشيري، سواء تلك التي كانت قائمة في عهدي ديبوش وبافي أو من خلال استعانة لافيجيري بجماعات دينية أخرى بهدف دعم وتعزيز العمل التبشيري، ومن بينها

1- جمعية أخوات سان جوزيف دوفانس Les Sœurs saint Joseph de Vans : التي منحت لها مهمة تسيير مدارس دينية بالمدينة والأبيار والمدارس البلدية بزرالدة حمر العين وبسطا والي من 1868.

2- جمعية أخوات العناية الإلهية لريبوفيل Les sœurs de la Providence de Ribeauvillé : والتي تكفلت بمدارس وملاجئ منا يل وتيزي وزو على وجه الخصوص.

3- جمعية سان جوزيف دوسان جون دوموريان saint Joseph De Saint Jean de Maurienne : والتي فتحت مدرسة دينية حرة قوراية قرب شرشال.

4- جمعية Imaculado de corazon : استقدمت هذه الجمعية للمهاجرين الإسبان منذ سنة 1869 لرعايتهم وتوفير البيئة المسيحية الملائمة لهؤلاء قصد ضمان استمرارية تطبيق الشعائر الدينية المسيحية بالجزائر وإرجاعها الى الحظيرة المسيحية (سعيدي مزيان, 2000, ص. 95--96)

5- تأسيس فرقة الآباء البيض وفرقة الأخوات البيض: يعود تأسيس جماعة الآباء البيض إلى مبادرة الكاردينال لافيجيري سنة 1868 وذلك في سياق الظروف الصعبة التي عرفتها الجزائر خاصة خلال مجاعة عامي 1867-1868 التي أثرت بشكل كبير على السكان وترتبط تسمية هذه الجماعة باللباس الأبيض الذي كان يرتديه أعضاؤها وهو لباس يشبه إلى حد كبير الزي العربي التقليدي في الجزائر، غير أن التسمية الأصلية التي أطلقها مؤسسها كانت جمعية مبشري السيدة الإفريقية ويعرف أفرادها أيضاً باسم مبشرو الجزائر العاصمة وقد اتخذت هذه الجمعية من مدينة ليون الفرنسية مقراً لها قبل أن يطلق عليها لاحقاً اسم "الآباء البيض"(محمد الطاهر وعلي, 2009, ص. 20). وكان أول من تطوع في هذه الفرقة ثلاثة رجال دين من المدرسة الإكلركية بالقبة وحتى تتمكن هذه الفرقة من القيام بعملها وجه لافيجري يوم 10 ماي 1869 نداء إلى كل المدارس الإكلركية بفرنسا يحثها على الوقوف أمام تقدم الإسلام المخيف منذ بداية القرن التاسع عشر ولذا وجب مقاومته.

ولم ينس لافيجري مقام المرأة في الأسرة فوجه اهتمامه إلى التأثير عليها فالمرأة في نظره مدار الحياة الاجتماعية، والوصول إليها وصولاً إلى الأسرة كلها واستخدام المرأة هو لتحقيق الأهداف النبيلة (علي محمد محمد الصلابي, 2015, ص. 688).

أشار الكاردينال لافيجري على أعضاء الفرقة الجديدة أن يقتربوا من الأهالي باتخاذ عاداتهم وطرق معيشتهم في لباسهم ولغتهم لكي يكون احتكاكهم بالأهالي شديداً وصور لهم عظم المسؤولية قائلاً:

"أن رجال الدين قاموا بإصلاح الأراضي في فرنسا وتعميرها، وتحضير وتنصير سكانها بعد أن اكتسحت هجومات البربار الأراضي الأوروبية وهذا ما يجب عمله في إفريقيا بعد زحف الإسلام عليها".

لقد وضع لافيجري قواعد لهذه الفرقة أصبحت تعتمد عليها فيما بعد وهي كما يلي:

1-أن هدف هذه الفرقة من التحلي بالصبر لأن العمل شاق وطويل والعمل بالحذر لأنه ضروري لبلوغ أي هدف واستعمال العمل الخيري لأنه الوسيلة الأساسية في التبشير.

2- أن يكون شعار هذه الفرقة: المحبة والتكتل لأن في ذلك قوة تعمل على الوصول إلى الأهداف التبشيرية (خديجة بقطاش, 2007, ص. 129--130). وهناك جملة من القواعد والقوانين التي ضابطها للانضمام للفرقة والمشاركة في النشاط التنصيري أهمها:

1- أن يكون الأب كاثوليكي المذهب وأن يكون قد أمضى عامة السادس عشر في خدمة الديانة المسيحية.

2- أن يمضي عاماً تكوينياً في معهد البيت المربع بالحراش أن يتلقى دروساً دينية في اللاهوت البلاغة ولهجات الأهالي المراد تنصيرها.

3- يُشترط على رئيس الفرقة أن يكون عمره يناهز 40 سنة وأن يكون قد أمضى 10 سنوات في خدمة الفرقة.(سعيدي مزيان, 2000, ص. 104)

واصلت الأخوات البيض نشاطهما منذ سنة 1869 وذلك ببناء عيادة وبيت خيري لاستقبال النساء حيث تقول إحدى الأخوات البيض بهذا الخصوص: "إن الأثر الذي تتركه الأم في أطفالها ذكوراً وإناثاً حتى السنة العاشرة من عمرهم له أهمية بالغة" (سيلي مقران, 2012, ص. 149) حيث أدرك لافيجري مقام المرأة الجزائرية فوجه سبل التأثير عليها حيث عمل على تأسيس فرقة خاصة بالتنصير وسط العنصر النسوي حيث وصلت ثمانية بنات مسيحيات حيث جمعت هؤلاء البنات في ملجأ سان شارل بالقبة لتكوينهم حتى يتكفلن بيتامى الملجأ وتعويد أنفسهن على العمل الفلاحي، حملت هذه الفرقة عدة تسميات قبل أن يستقر باسمها فعند تأسيسها الأول عُرفت بـ soeurs Les et Agricoles soeurs Les ثم حملت اسم Hospitalières du Vénérable Geronimo ثم حملت اسم Société des Sœurs Mission la de Enseignantes et Hospitalières de Notre-Dame des Missions d'Afrique. (سعيدي مزيان, 2000, ص. 113--114) كما تم تحميل فرقة الأخوات البيض مسؤولية العمل التبشيري عن طريق التطبيب كوسيلة للعلاج وكذلك التعليم والخدمات الخيرية وذلك بعد تكوينهم وقد حدد الكاردينال لافيجيري مهام هذه الجمعية ضمن رؤية موحدة تتمثل أساسا في تنصير العنصر النسوي إلى جانب استهداف فئة الأطفال اليتامى والمحرومين(خديجة بقطاش, 2007, ص. 129)، وانطلقت من هذه الأهداف، تمثلت أبرز مهامها في التبشير عبر التعليم الإبتدائي ذي الطابع الديني الموجه للنساء؛ حدد لافيجيري مهام الأخوات البيض وفق ما يلي:

1- التنصير عن طريق التعليم الإبتدائي النسوي.

2- الإهتمام باليتامى الجزائريين خاصة الإناث منهم.

3- الإشراف على المدارس والملاجئ والدور.

4- الإشراف على المستشفيات والمستوصفات.

5- المواظبة على الصلوات لتسهيل التنصير وتحويل الأهالي عن دينهم وخاصة العنصر النسوي(سعيدي مزيان, 2000, ص. 115--116).

خلص إلى جملة من النتائج يمكن إجمالها في نقطتين:

إن السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر خلال الفترة الممتدة من 1830 - 1870 لم تكن ذات طابع تعليمي فقط بل شكلت أداة استعمارية استهدفت إعادة تشكيل المجتمع الجزائري ثقافيًا ودينيًا من خلال نشر اللغة والثقافة الفرنسيتين ومحاولة إضعاف مقومات الهوية الإسلامية.

توصلت الدراسة أن المؤسسات الدينة المسيحية والبعثات التبشيرية لعبت دورًا محوريًا في تنفيذ السياسة التعليمية الاستعماريةاذ سخرت التعليم لخدمة أهداف التنصير والفرنسة خاصة في اوساط الاطفال والشباب بهدف خلق جيلً مرتبط بالإدارة الاستعمارية منفصلا عن بيئته الحضارية الأصلية.

الفصل الثالث:

نتائج السياسة التعليمية الفرنسية 1870-1900

المبحث الأول: اهداف السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر

المبحث الثاني: الزوايا بين وظائف التعليم وديناميكيات المقاومة الثقافية

المبحث الثالث: مشاركة الجزائريين في المدارس المختلطة -بين الاكراه والتكيف

المبحث الرابع: المرسسات المسيحية وموقعها في الحياة الإجتماعية للأهالي

3

نتائج السياسة التعليمية الفرنسية 1870-1900

إن الحكم على السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر خلال الفترة الممتدة بين عامي 1830 و1900، وتقييم دور المؤسسات الدينية المسيحية، لا يستقيمان بمجرد رصد مؤسساتها وآليات اشتغالها أو الوقوف عند حدود التأسيس النظري، بل لا بد من المضي خطوةً أبعد نحو استجلاء ما أسفرت عنه تلك السياسة من نتائج فعلية وآثار ميدانية ملموسة على المجتمع الجزائري. ومن هذا المنطلق يأتي هذا الفصل ثمرةً طبيعية لما سبقه من معالجة، ومحطةً ختامية تُغلق الدائرة التحليلية للبحث، إذ ينتقل من مستوى التوصيف المؤسسي إلى مستوى قياس الأثر الحقيقي، ليكشف عن مآلات تلك السياسة في مرحلتها الأكثر نضجاً وحدةً بين عامي 1870 و1900، وهي المرحلة التي شهدت تكثيفاً واضحاً للمشروع التعليمي الاستعماري بكل أدواته ومؤسساته. وبذلك يكون هذا الفصل الاختبار الحقيقي الذي يجيب عن السؤال الجوهري الذي يُختتم به البحث: هل نجح هذا المشروع في تحقيق أهدافه الاستيعابية وإخضاع الهوية الجزائرية ثقافياً، أم أن المجتمع الجزائري أبدى من القدرة على المقاومة والصمود ما أفضى إلى إخفاق ذلك المشروع وتبديد رهاناته؟

1.3 المبحث الأول: الزوايا بين وظائف التعليم وديناميكيات المقاومة الثقافية

تمثل الزاوية في السياق الجزائري مؤسسة متعددة الوظائف، تجمع بين البعد التعليمي الديني واللغوي والبعد الاجتماعي القضائي وبعد القيادة الروحية. وقد اكتسبت هذه المؤسسة في ظل الاستعمار بعدًا إضافيًا متميزًا هو وظيفة المقاومة الثقافية، إذ وجدت نفسها في مواجهة مباشرة مع سياسة التجهيل الممنهجة ومصادرة الأوقاف.

1.1.3 المطلب الأول: الوظيفة التعليمية للزوايا وحجمها المؤسسي

شكلت الزوايا في الجزائر خلال الثلث الأخير من القرن التاسع عشر المؤسسة الأكثر صمودًا في وجه الاستعمار، ففي الوقت الذي كان فيه المحتل يسعى لتجريد الإنسان الجزائري من أرضه وهويته، كانت الزوايا تتحول إلى نظام تعليمي وديني متكامل يغطي العجز الذي خلفه تدمير المؤسسات الثقافية الكبرى.(سعاد الحداد, 2012, ص. 67)

1. الواقع التعليمي والإحصائي (نموذج 1871):

تكشف التقارير الإحصائية لعام 1871، عن وجود نحو 2000 مؤسسة تعليمية تجمع بين الكتاتيب و الزوايا، تضم ما

يزيد عن 28,000 تلميذ. (الطاهر زرهوني, 1993, ص. 12) وإذا ما استحضرنا السياق الديموغرافي الذي يقدر عدد السكان الجزائريين آنذاك بنحو ثلاثة ملايين نسمة فإن هذه الأرقام تعكس انتشاراً تعليمياً واسعاً قياساً بالإمكانيات المتاحة في سياق استعماري ضاغط.

اعتمد التعليم في الزوايا نظاماً تدريجياً يبدأ بحفظ القرآن الكريم وقواعد اللغة العربية في المرحلة الابتدائية، ثم يتوسع ليشمل العلوم الشرعية والمنطق والحساب والفلك في المراحل المتقدمة وقد تميزت هذه المؤسسات بكونها مستقلة مالياً بفضل نظام الأوقاف الإسلامية، مما أتاح لها هامشاً من الحرية في تحديد مناهجها وأساليبها التعليمية.(سعاد الحداد, 2012, ص. 68)

غير أن قرار 7 ديسمبر 1830 القاضي بمصادرة الأوقاف أفقد هذه المؤسسات مصدر تمويلها الأساسي مما اضطرها إلى البحث عن بدائل وأنماط تنظيمية جديدة للحفاظ على استمراريتها. (سعاد الحداد, 2012, ص. 69)

2. الصراع الثقافي ومقاومة قانون التجهيل

في الفترة ما بين 1870 و1900، اشتدت المواجهة الحضارية؛ فبينما كان الشعب الجزائري متشبعاً بهويته، حاولت الإدارة الاستعمارية فرض واقع جديد عبر القرارات القضائية لضرب المجال التعليمي. تم تنفيذ سياسة "تجفيف المنبع" من خلال الاستيلاء الكامل على الاوقاف الاسلامية(أبو القاسم سعد الله, 1998c, ص. 173) التي كانت تمول التعليم الحر، مما أدى إلى هدم بعض الزوايا أو حرمان مشايخها من الموارد الأساسية. الهدف كان واضحاً: تحويل الزوايا من مراكز إشعاع فكري إلى أماكن تعزل الشباب عن لغتهم وواقعهم السياسي.

3. استراتيجية الصمود ضد التبشير

لعبت الزوايا دوراً محورياً في الحفاظ على تعاليم الإسلام وقيم الإيمان في قلوب الجزائريين طيلة عهد الاحتلال، حيث كانت المنهل الذي استمد منه الشعب ثقافته الروحية العميقة. وقد شكلت هذه المؤسسات الدينية "الحصن الحصين" والملاذ الذي اعتصم به المجتمع الجزائري، لا سيما في الأرياف، لمواجهة مخططات الاستعمار والمبشرين. وقد أدرك قادة الاحتلال أنفسهم هذه الحقيقة، إذ اعتبروا المعلمين والشيوخ المشبعين بمبادئهم بمثابة الحاجز المانع أمام محاولات المسخ الثقافي وتغيير الشخصية الوطنية، وهو ما جعل الزوايا تمثل جبهة مقاومة معنوية صلبة حالت دون ذوبان الهوية الجزائرية في الكيان الاستعماري.

4. التلاحم بين التعليم والمقاومة المعنوية

اعترف قادة الاحتلال في تقاريرهم السرية خلال تلك الفترة بأن "المعلمين والأهالي المشبعين بمبادئ الزوايا" هم العقبة الحقيقية أمام الاستعمار، لأنهم يغذون جيلاً لا يقبل الذوبان في الحضارة الدخيلة. لذا، لم تكن الزاوية مجرد مكان للعبادة، بل كانت "الحصن الحصين" الذي ربط بين التعليم كواجب ديني والمقاومة كضرورة وطنية. هذا الربط هو ما جعل مشايخ الزوايا يتحولون من مدرسين إلى قادة للثورات الشعبية عندما تقتضي الحاجة، مؤكدين أن الحفاظ على اللسان العربي والدين الإسلامي هو الخط الأول للدفاع عن السيادة الوطنية. (سعاد الحداد, 2012, ص. 70-71)

2.1.3 المطلب الثاني: الوظيفة القضائية والاجتماعية للزوايا

إلى جانب وظيفتها التعليمية، اضطلعت الزوايا بمهام القضاء الموازي في قضايا الأحوال الشخصية والمعاملات التجارية، في ظل مساعي الإدارة الاستعمارية إلى تقليص صلاحيات القضاء الإسلامي، وقد شكلت فضاءً للتكافل الاجتماعي والترابط

بين مختلف شرائح المجتمع، مما أسهم في تحصين النسيج الاجتماعي في وجه سياسات الاستقطاب والإدماج الانتقائي.

يُسجل الباحث المختاري الطيب في دراسته حول لجان التحقيق الاستعمارية أن هذه الوظيفة القضائية البديلة كانت من أشد ما أقلق الإدارة الفرنسية، إذ كانت تُرسخ سلطة موازية مستمدة من المرجعية الإسلامية لا من الشرعية الاستعمارية. (مختاري الطيب, 2017, ص. 225)

1. الدور الجهادي والقيادة الروحية للمقاومة

لم يقتصر دور الزوايا في هذه المرحلة على الجانب الديني فقط، بل تعدى ذلك لحفظ الوطن، حيث كانت الزاوية والطريقة الدينية هي المحرك لجل المقاومات التي شهدتها الفترة، خاصة في ظل غياب الدولة بعد سقوط مدينة الجزائر. فقد كان قادة المقاومة الشعبية، حتى وإن لم يكونوا من المرابطين، يحتاجون إلى السلطة الروحية لتجنيد الجزائريين، كما حدث في بداية مقاومة "محمد بن زعموم" الذي احتاج إلى تزكية "الشيخ السعدي". وقد تصدرت الطرق الصوفية كـ "الرحمانية" ومقاومة "بوعمامة" و"المنطقة القبائلية" و"الزواطشة" و"الدرقاوية" و"السنوسية" و"التيجانية" المشهد الجهادي. (بوجقاني أحمد, خيثر عبد النور و سعيدي مزيان و, 2007, ص. 148)

2. المقاومة الروحية والسياسية (تواصل الثورات الشعبية)

لقد تجلى الدور الجهادي للزوايا في كونها الركيزة الأساسية لكل المقاومات الشعبية التي شهدتها هذه المرحلة؛ فغياب سلطة مركزية وطنية جعل من الزوايا المؤسسة المؤهلة للقيادة الروحية والعسكرية. فجل الثورات كانت تنطلق من خلفية دينية وطريقة صوفية، حيث تصدرت الطرق الصوفية (مثل الرحمانية وغيرها) المشهد الجهادي، وكان قادة المقاومة يستمدون شرعيتهم من بركة وتزكية شيوخ الزوايا. وبذلك، لم تحفظ الزوايا الدين واللغة فحسب، بل حفظت الأرواح والممتلكات، واعتبرت واجباً شرعياً ووطنياً في أعين العامة، مشكلة بذلك الصخرة التي تحطمت عليها آمال الاستعمار في إخضاع الشخصية الجزائرية.

3.1.3 المطلب الثالث : الزوايا والادوار المسلحة - الادوار والحدود

1- النماذج التطبيقية للمقاومة المسلحة 1870-1900

أسهمت الزوايا في الطرق الصوفية إسهاماً موثقاً في عدد من الانتفاضات المسلحة التي شهدتها هذه المرحلة، أبرزها ثورة الشيخ الحداد والرحمانيين عام 1871 في جبال جرجرة والأوراس، وثورة الشيخ محمد يحي الرحماني عام 1876، وثورة الشيخ بوعمامة في الجنوب الوهراني بين 1881 و1883. تكشف هذه النماذج عن نمط موحد: كانت القيادة الروحية للزوايا تُضفي الشرعية على المقاومة المسلحة وتستقطب المحاربين عبر شبكاتها الاجتماعية الواسعة. بيد أن الدارس لهذه المرحلة لا يمكنه إغفال أن بعض رموز الزوايا آثروا التكيف مع الواقع الاستعماري، بل انخرطوا في مجالسه البلدية مما يُرسم مشهداً أكثر تعقيداً من ثنائية المقاومة والاستسلام المطلقة. ويدعو هذا التعقيد إلى دراسة العوامل البنيوية المحددة لمواقف الزوايا المختلفة: موقعها الجغرافي وطبيعة علاقتها بالأعيان المحليين وحجم الضغط الاستعماري الممارس عليها. (أبو القاسم سعد الله, 1998c, ص. 173)

2 - قيادة الثورات الشعبية والروح الجهادية

إن هذه الثورات والتمردات والانتفاضات لدليل واضح على الدور السياسي والعسكري والمكانة العالية الشأن التي كانت للزوايا، والشيء الأكيد أنه لولا الخيانة ولولا انصياع بعض رؤساء الزوايا لكانت قد غيرت مسار تواجد المستعمر الفرنسي

في الجزائر (أبو القاسم سعد الله, 1998c, ص. 173) وقد تجلى هذا الدور بوضوح في تزعم مشايخ الزوايا للعديد من الثورات المسلحة التي قامت ضد الفرنسيين، حيث لا يمكن البتة الفصل بين الدور التعليمي والديني للزوايا وبين دورها السياسي والعسكري، فهما أمران مرتبطان ببعضهما ارتباطاً وثيقاً (أبو القاسم سعد الله, 1998c, ص. 70)

3 - الزاوية كقاعدة خلفية وحصن للمجاهدين

لقد تمثل دور الزاوية في محاربة الاستعمار في عدم ادخار الزعماء الروحيين جهداً لتعبئة المواطنين وتوجيههم إلى مقاومة الاحتلال الفرنسي، فكانت الزوايا قاعدة ينطلق منها المجاهدون الذين رغم إمكاناتهم المادية المحدودة إلا أن عزيمتهم كانت قوية ومعنوياتهم مرتفعة جداً. ونظراً لمكانة الزاوية المرموقة والاحترام الذي كان يحظى به أصحابها، فإن أي نداء للجهاد كان يلقى صدى لدى السكان لمحاربة هذا العدو الذي جاءهم باسم الكنيسة لمحاربة دينهم ولغتهم.

4 - مواجهة سياسات الاحتواء والاختراق الاستعماري

على الرغم من محاولات السلطات الاستعمارية استمالة شيوخ الزوايا وشراء ضمائر بعضهم لإخضاع السكان المجاورين لزواياهم لجيش الاحتلال، بل ودفع بعضهم للوقوف في وجه الثوار المقاومين لإجهاض حركات المقاومة من أجل أهداف دنيوية رخيصة، إلا أن زوايا أخرى ظلت وفية لمبادئ الجهاد وتحولت إلى مراكز كانت في كثير من الأحيان السبب في تشجيع ودفع المواطنين إلى الارتماء في أحضان الثورات وتجنيدهم وجمع الأموال باسم الدين وحمل السلاح دفاعاً عن الأرض والشرف والإسلام، فلا نكاد نجد حركة مقاومة خلال هذا العهد دون أن يكون وراءها مرابط أو شريف.

4.1.3 المطلب الرابع: الزوايا وصون الهوية -اثر استراتيجي بعيد المدى -

الأثر الأكثر ديمومة الذي خلفته الزوايا في هذه المرحلة هو دورها في إعادة إنتاج الهوية الثقافية وتنشئة أجيال متشبعة بالمرجعية العربية الإسلامية. يلاحظ أبو القاسم سعد الله أن خريجي هذه المؤسسات شكلوا القاعدة الفكرية التي انطلقت منها حركة الإصلاح في مطلع القرن العشرين. وفي ضوء ذلك، يمكن القول إن الأثر الاستراتيجي للزوايا لم يكن آنياً في مواجهة الاستعمار، بل كان تراكمياً وبعيد الأمد، فحمايتها للغة العربية وللثقافة الدينية هيأت الشروط المعرفية لبروز النهضة الإصلاحية الباديسية لاحقاً.

رغم سياسات التضييق الممنهجة وقرارات الغلق الاستعمارية التي اشتدت وطأتها بعد عام 1870 بضغط مباشر من "الكولون"، إلا أن الزوايا والمساجد ظلت صامدة كقلاع حصينة للهوية الوطنية ومراكز خفية لإعداد جيل متشبع بالروح العربية الإسلامية. ففي الوقت الذي حاولت فيه الإدارة الاستعمارية جعل تعليم اللغة العربية "مرهقاً ومشوشاً"، استمرت هذه الحواضن في أداء رسالتها التعليمية في مناطق الأوراس وزواوة والجنوب، مما خلق صراعاً ثقافياً وجودياً أفشل محاولات "الفرنسة والتدجين". (بن تيزي ميلود, 2019, ص. 283)

لقد أثبتت هذه المؤسسات أنها الضامن الوحيد للحماية من التحلل والذوبان في المجتمع الغربي، حيث لعبت دوراً محورياً في عدة مستويات:

إفشال الاختراق اللغوي:

شكل الرصيد التعليمي للزوايا حائط صد منع انتشار اللغة الفرنسية كبديل للهوية، وحافظ على العربية لغة حية رغم القوانين الجائرة مثل "قانون الأهالي."

تغذية الفكر الإصلاحي:

لم تكن الزوايا مجرد دور للعبادة، بل كانت النواة الأولى وحاضنة الجيل الذي أطلق لاحقاً "حركة الإصلاح العربي الإسلامي"؛ فخريجو هذه الزوايا والمعاهد المهمشة هم من شكلوا القاعدة الشعبية والروحية للحركة الباديسية.

الوعي بالواقع والدهاء السياسي:

تجلت قوة هذه المؤسسات في قدرتها على التكيف مع القوانين الاستعمارية (مثل قانون 1892) لإعادة فتح مجالات التعليم، مما يعكس ذكاءً في إدارة الصراع من أجل البقاء الثقافي. (بن تيزي ميلود, 2019, ص. 284)

2.3 المبحث الثاني : البنية التعليمية الفرنسية -الاهداف والفوارق الهيكلية-

يأتي هذا المبحث في سياق الكشف عن نتائج السياسة التعليمية الفرنسية، ليُسلط الضوء على أحد أبرز مخرجاتها البنيوية، وهو الثنائية التعليمية التي أفرزت فجوة حضارية عميقة داخل المجتمع الجزائري. فإذا كان المبحث الأول قد أبرز المقاومة، فإن هذا المبحث يكشف عن طبيعة ما كانت تقاومه تلك المؤسسات التقليدية، من خلال تشريح الفوارق الجوهرية بين منظومتين تعليميتين متوازيتين تخدمان مشروعين حضاريين متعارضين.

1.2.3 المطلب الاول: المنظومة التعليمية ما قبل الاحتلال

تشير التقارير العسكرية الأولى للاحتلال، ولا سيما "تقارير الجنرال دوماس"، إلى أن نسبة التعليم في الجزائر قبل 1830 كانت مرتفعة بمعايير المرحلة، مع وجود شبكة واسعة من الكتاتيب تمتد إلى القرى والأرياف. واتسم هذا التعليم بالتدرج من الكتّاب (حفظ القرآن وأساسيات القراءة والكتابة)، إلى التعليم الثانوي في المساجد والزوايا (النحو والصرف والفقه والمنطق)، وصولاً إلى التعليم العالي في الجوامع الكبرى.

وقد كانت هذه المنظومة تتمتع باستقلالية مالية أمنها نظام الأوقاف، واستقلالية منهاجية تحميها من التدخل السياسي. غير أن مصادرة الأوقاف والحملات الاستعمارية المتكررة أحدثت في هذه البنية فجوات عميقة لم يتمكن التعليم التقليدي من سدها بالكامل. (صالح مؤيد العقبي, 2002, ص. 428)

أولاً: البنية التنظيمية والمناهج الدراسية

بنية النظام التعليمي العربي ومناهجه قديماً:

لقد كان التعليم السائد في الجزائر قبيل الاحتلال الفرنسي تعليماً عربياً إسلامياً أصيلاً، اتسم بالشمولية والانتشار، حيث ارتكز بصفة أساسية على الدراسات الدينية واللغوية والأدبية وفق برامج منظمة مرت بمراحل تعليمية متدرجة؛ بدأت بـ التعليم الابتدائي الذي كان يُقدم في "الكتاتيب" المفتوحة لجميع أبناء الجزائريين دون استثناء، مما أدى لارتفاع كبير في نسبة المتعلمين، حيث كان الأطفال يتلقون خلال أربع سنوات مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن وأركان الإسلام. (بوضرساية بوعزة, 2010, ص. 127)

وانتقل الطلاب بعد ذلك إلى التعليم الثانوي الذي احتضنته المساجد والزوايا والمدارس المتخصصة، حيث تعمق الطالب في أحكام القرآن، والنحو، والصرف، والحساب، إلى جانب المنطق والتاريخ والفلك، لينتهي هذا المسار بنيل "إجازة" شفوية من المدرس تُؤهله لمزاولة وظائف مهنية كالتأديب والكتابة. (صالح فركوس, 2013, ص. 520)

أما التعليم العالي، فقد جسد دور الجامعات في العصر الحديث، حيث كان يُدرس مجاناً في الجوامع الكبرى كالجامع

الكبير، وشمل تخصصات دقيقة في العلوم الفقهية، والعقائد، وفنون البلاغة، وعلم الجداول المخصص لضبط المواقيت الشرعية، مع الإشارة إلى أن هذه المدارس العليا لم تصل لمستوى العالمية التي حظيت بها جامعات كالأزهر والقرويين. (صالح فركوس, 2013, ص. 520)

وقد اعتمدت البرامج التعليمية في تلك الحقبة بشكل مكثف على علوم الدين والتصوف وقواعد المنطق والميتافيزيقيا، بينما اعتبرت العلوم العقلية ثانوية، وكانت هذه المناهج تخضع كلياً لإدارة المدرس الذي يضع البرامج ويحدد أوقات التدريس، مع تميز دروس المراحل المتقدمة بأسلوب الشرح والتفصيل والإملاء لضمان استيعاب المعارف وتوريثها للأجيال. (أبو القاسم سعد الله, 2011, ص. 164)

2.2.3 المطلب الثاني: البنية التعليمية الفرنسية واهدافها المعلنة والضمنية

أقامت الإدارة الاستعمارية منظومة تعليمية ثلاثية المستويات: المدارس الابتدائية الفرنسية-العربية المنشأة بموجب مرسوم 1850، (أبو القاسم سعد الله, 2011, ص. 86) والمدارس الإسلامية الثلاث في قسنطينة وتلمسان والمدية، (مولود قرين, 2013, ص. 42) والمعاهد النخبوية الموجهة لأبناء الأعيان .(عثمان سعدي, 2010, ص. 480)

تجدر الإشارة إلى أن توظيف العربية في هذه المنظومة لم يكن اعترافاً بقيمتها الحضارية، بل كان وسيلة وظيفية لتسهيل التواصل الأولي مع الأهالي. أما غاية المدارس الإسلامية الثلاث، فلم تكن صون الفقه الإسلامي، بل إنتاج كوادر دينية وثقافية تعمل تحت الإشراف الفرنسي بديلاً عن العمال المستقلين في الزوايا. على صعيد المناهج كرست الكتب الفرنسية المدرسية التاريخ الروماني في شمال إفريقيا بوصفه الأصل الحضاري للمنطقة، مع تغييب كامل للتاريخ العربي الإسلامي. وفرضت الفرنسية لغة حصرية للعلوم والرياضيات، فيما ملئت حصص التاريخ والجغرافيا بتمجيد الحضارة الغربية.(كميلية حاجي, 2012-2013, ص. 55)

3.2.3 المطلب الثالث: الانتقال من الاشراف العسكري الى المدني واثره في التعليم

شهد النظام التعليمي تحولاً إدارياً جوهرياً بعد عام 1870، إذ انتقل الإشراف من وزارة الحربية والمكاتب العربية إلى البلديات ومديرية التربية. وقد أفرز هذا التحول في حد ذاته أزمة تمويل حادة، إذ رفضت المجالس البلدية التي كان يهيمن عليها المستوطنون الأوروبيون رصد ميزانيات كافية لتعليم الجزائريين مؤثرة توجيه الموارد لخدمة الجالية الأوروبية.

أدى ذلك إلى إغلاق عدد من المدارس في مدن كالبليدة والشلف وملیانة، في ظاهرة تكشف عن تناقض داخلي في المشروع التعليمي الاستعماري: فبينما كانت الأيديولوجيا الرسمية تبرر الاستعمار بدعوى نشر التعليم، كانت الممارسة الميدانية تعمل في الاتجاه المعاكس.(أبو القاسم سعد الله, 2011, ص. 86-110)

- سياسة الفرنسة -دعوى نشر الحضارة:

استندت السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر إلى ذريعة "الرسالة الحضارية"، وهي فكرة أوروبية مشتركة روجت من خلالها فرنسا الادعاء مفاده أن تعليمها يهدف إلى إخراج الجزائريين من "ظلمات الجهل والبربرية" إلى "نور العلم" والتمدن. وقد هدفت هذه السياسة في جوهرها إلى تغيير الولاء الثقافي عبر تحبيب الحضارة الغربية لدى الناشئة، ودفع الأجيال الجديدة للتنصل من تراثهم الوطني الذي وصفه الاحتلال "بالتعصب"، وذلك في سياق العمل على تكوين "أتباع" وجيل

من "العبيد للأسياد"، عناصر قيادية تحترم الحضارة الأوروبية وتدين لها بالولاء، وتعمل تحت سلطة الاحتلال لضمان تثبيت وجوده واستمراريته (رشيد مياد, 2022, ص. 856-857)

- **الهدف السياسي والاجتماعي -الادماج :**

سعت السياسة الاستعمارية من خلال التعليم إلى تحقيق أهداف سياسية واجتماعية تمحورت حول فكرة "الإدماج"، حيث استُخدم التعليم كوسيلة لشن "غزو فكري وروحي" يكمل الغزو العسكري، بهدف صهر الشعب الجزائري وإذابته في الكيان الفرنسي. وقد ركزت هذه الاستراتيجية على القضاء على اللغة العربية وإحلال اللغة الفرنسية محلها لتصبح هي "اللغة القومية" باعتبارها لغة السلطة والإدارة، بالتوازي مع العمل على تحويل المجتمع اجتماعياً عبر تكوين فئة "مدجنة" من الرجال الموالين ليكونوا أداة تأثير على مواطنيهم ومهمتهم تطويع المجتمع العربي ليتوافق مع متطلبات الحضارة الفرنسية. كما انتهجت هذه السياسة مبدأ التفرقة من خلال استهداف مناطق معينة، كمنطقة القبائل، بمحاولات الفرنسة وإعادتهم للنصرانية تحت مزاعم واهية تدعي قربهم من الأصول الأوروبية، لضمان تفتيت الوحدة الوطنية وتسهيل السيطرة على البلاد (أبو بكر الصديق حميدي, 2015, ص. 39)

4.2.3 المطلب الرابع : التجنيس بوصفه الية هوياتية وليس إجراء قانونيا

لم تكن سياسة التجنيس في الفترة 1870-1900 مجرد إجراء إداري، بل كانت تنطوي على بُعد هوياتي صريح، إذ اشترطت الحصول على الجنسية الفرنسية التخلي عن الأحوال الشخصية المستمدة من أحكام الشريعة الإسلامية، أي إعلان قطيعة رمزية مع المرجعية الدينية والقانونية الإسلامية. وقد واجهت هذه السياسة رفضاً شعبياً واسعاً، إذ رأى فيها الجزائريون ثمناً باهظاً لحقوق مدنية ظلت محدودة في جوهرها داخل المنظومة الاستعمارية نفسها.(رشيد مياد, 2022, ص. 856-857)

5.2.3 المطلب الخامس : انعكاسات الثنائية التعليمية على المحتمع الجزائري

1- الرفض الاجتماعي والتحصن بالهوية :

تجلى الرد الشعبي الجزائري على السياسات التعليمية الاستعمارية في شكل رفض اجتماعي قاطع وتحصن عميق بالهوية الوطنية؛ حيث أبدى الجزائريون مقاومة ثقافية وتحفظاً شديداً تجاه تعلم اللغة الفرنسية، منطلقين من قناعة راسخة بأن المدارس الفرنسية ما هي إلا وسيلة استعمارية تهدف للقضاء على شخصيتهم العربية الإسلامية. وقد دفع هذا التوجس المجتمع إلى التمسك بالتعليم التقليدي كبديل آمن، فحرص الآباء على إرسال أبنائهم إلى "الكتاتيب" والزوايا والمدارس القرآنية لحمايتهم من المسخ الثقافي، بل وصل الأمر ببعض العائلات إلى تفضيل الهجرة نحو تونس والمغرب لضمان إتمام أبنائهم لتعليمهم في بيئة عربية خالصة بعيداً عن التأثيرات والضغوط الفرنسية (أبو بكر الصديق حميدي, 2015, ص. 39)

تجلت معالم التمييز الصارخ والتفاوت الطبقي في كيفية تعامل المجتمع الجزائري مع سياسة التعليم الإجباري التي فرضتها السلطات الاستعمارية، حيث استُخدمت أدوات القمع والشرطة لجر أبناء الفقراء والمعوزين إلى المدارس الفرنسية عنوة وبقوة القانون، في محاولة لفرضه كأمر واقع على الطبقات الكادحة. وفي المقابل، استغلت الفئات الميسورة والأغنياء نفوذهم المالي لدفع رشاوى ضخمة للمسؤولين الاستعماريين مقابل الحصول على إعفاءات تضمن بقاء أبنائهم بعيداً عن مقاعد الدراسة الفرنسية وحمايتهم من المسخ الثقافي. وقد ولّد هذا الضغط الاستعماري حالة من الحزن الجماعي العميق في

الأوساط الشعبية، لدرجة أن العائلات الجزائرية كانت تقيم ما يشبه "المآتم" والجنائز عند بداية كل سنة دراسية، تعبيراً عن فجيعتهم في إرسال أبنائهم إلى مدارس كانوا يرونها تهديداً مباشراً لعقيدتهم وانتمائهم الوطني(محمد المختار اسكندر, 1994, ص. 20)

2- بروز المقاومة المنظمة والمجابهة الثقافية :

تطورت ردود الفعل الجزائرية تجاه السياسة التعليمية الاستعمارية من مجرد الرفض السلبي إلى مرحلة بروز المقاومة المنظمة والمجابهة الثقافية الشاملة، حيث آمن الشعب الجزائري بأن المقاومة المسلحة تمثل وسيلة استراتيجية وضرورية للتعبير عن الرفض القاطع للتعليم الفرنسي ومنظومته القيمية. وقد تجلى هذا الوعي بوضوح في "نموذج دولة الأمير عبد القادر"، الذي أدرك مبكراً خطورة الصراع الثقافي، فعمل على إنشاء نظام تعليمي وطني موازٍ وبديل للنظام الاستعماري؛ حيث قام الأمير بتأسيس مؤسسات تعليمية متخصصة بتمويل من ماله الخاص، وحرص على توفير الكتب والمعلمين الأكفاء لتسليح الأجيال بالعلم والمعرفة الأصيلة، مشكلاً بذلك أولى جبهات "المجابهة الثقافية" المنظمة التي سعت لتحصين الهوية الوطنية وحماية المرجعية الحضارية للجزائريين في وجه محاولات الاحتواء المستعمر (محمد الطيب العلوي, 1994, ص. 41)

6.2.3 المطلب السادس :نتائج السياسة التعليمية الفرنسية

أولا - نتائج واثار السياسة التعليمية الاستعمارية في الجزائر :

تمخضت السياسة التعليمية الفرنسية عن آثار عميقة ومتباينة؛ فمن الناحية الهيكلية، أدت سياسة مصادرة الأوقاف وتضييق الخناق على الكتاتيب والزوايا إلى تراجع حاد في نسبة الأمية بين الجزائريين التي كانت مرتفعة قبل الاحتلال، مما خلق حالة من "التجهيل العمدي" للمجتمع. أما ثقافياً، فقد نجحت المدرسة الرسمية في إفراز "نخبة" متفرنسة لغوياً وفكرياً، إلا أنها ظلت تعاني من التهميش والرفض داخل المنظومة الفرنسية نفسها، مما ولد لديها شعوراً بالاغتراب. وفي المقابل، أدت هذه السياسة إلى نتيجة عكسية تمثلت في تصلب الهوية الوطنية، حيث دفع الخوف من "المسخ الثقافي" أغلبية الشعب إلى التمسك بمقوماته العربية والإسلامية كآلية دفاعية، مما حول الكتاتيب والزوايا من مؤسسات تعليمية إلى معاقل للمقاومة الروحية. وفي نهاية المطاف، فشلت هذه السياسة في تحقيق "الدمج الثقافي" المنشود، بل أصبحت سبباً في بروز نهضة إصلاحية وطنية لاحقاً، أكدت أن الوجدان الجزائري ظل عصياً على الاحتواء والفرنسة رغم كل الضغوطات والمغريات الاستعمارية.(تركي رابح, 1984, ص. 860)

ثانيا - الدور النظالي والمقاوم للمؤسسات التعليمية التقليدية في الجزائر ضد محاولات الطمس الثقافي :

لم تكن المؤسسات التعليمية التقليدية في الجزائر مجرد حواضن للعلوم الدينية، بل شكلت خط الدفاع الأول وجبهة نضالية صلبة ضد محاولات الطمس الثقافي. ففي الوقت الذي سعى فيه الاحتلال لتفتيت الوحدة الوطنية عبر سياسات لغوية إقصائية وقوانين جائرة كقانون الأهالي، برزت الزوايا والكتاتيب كمقاومة شاملة حافظت على الذهنية العربية ومنعت ذوبان الشخصية الجزائرية. لقد استطاعت هذه المؤسسات بذكاء فطري أن تحول التعليم من حيزه الضيق إلى فعل سياسي وميداني أثمر عن جيل من المصلحين الذين استوعبوا المتغيرات دون التفريط في الأصول، مما جعل من الصمود الثقافي ركيزة أساسية مهدت الطريق للمطالبة بالاستقلال التام (علي مراد, 2007, ص. 435)

المرسسات التعليمية كحائط صد ثقافي : (عبد القادر حلوش, 2010, ص. 63)

تؤكد النصوص التاريخية أن المؤسسات التقليدية الجزائرية، المتمثلة في المساجد والزوايا والكتاتيب، لم تقتصر وظيفتها

على كونها دوراً لنشر العلم والمعرفة فحسب، بل لعبت دوراً محورياً وحاسماً كقالع للمقاومة في وجه الغزو الثقافي الفرنسي. فقد صاغت هذه المؤسسات استراتيجية دفاعية تهدف في جوهرها إلى الحفاظ على المقومات الأصلية للمجتمع الجزائري، والوقوف كحائل منيع لحماية الهوية الوطنية والشخصية القومية والدينية من سياسات "الفرنسة" و"التنصير" و"الإلحاق" التي انتهجها الاحتلال. وبفضل هذا الصمود المؤسساتي، تمكن المجتمع من إفشال محاولات الاستعمار الرامية إلى استئصال الإنسان الجزائري من جذوره الحضارية، وهي السياسة التي كان يطمح من خلالها الاحتلال إلى تحويل الشعب إلى مجتمع فاقد للهوية يسهل انقياده والسيطرة عليه، مما جعل من هذه الزوايا والكتاتيب الجبهة الأولى لضمان استمرارية الكيان الوطني أمام أعنف حملات الطمس الثقافي.

دور العلماء ورجال الدين في المقاومة المسلحة :

تؤكد الوثائق أن رجال الدين والعلماء في الجزائر لم يكتفوا بأداء رسالتهم التعليمية والتربوية داخل الجدران، بل تجاوزوا ذلك ليتصدروا الصفوف الأولى في المقاومات المسلحة التي اندلعت في مختلف ربوع البلاد، مجسدين بذلك التحاماً وثيقاً بين العلم والجهاد. وتبرز النصوص منطقة القبائل كنموذج حي ومثالي لهذا الدور، حيث تميزت بكثافة مؤسساتها التعليمية التقليدية التي عدت بالمئات ما بين زوايا وكتاتيب ومعمّرات، وشهدت إقبالاً شعبياً مكثفاً ومنقطع النظير من السكان المتعطشين لتلقي الدروس الدينية والأدبية واللغوية. وقد أثمر هذا الحراك العلمي المستمر عن تخريج أجيال متعاقبة من المتعلمين والمثقفين المشبعين بالروح الوطنية، والذين لم يتوانوا عن قيادة حركات الجهاد والمقاومة منذ البدايات الأولى للاحتلال عام 1830، وظلوا يمثلون القوة الضاربة والروح المحركة للثورة والرفض الشعبي حتى استعادة السيادة الوطنية في عام 1962 مما جعل من هذه المؤسسات قلاعا حصينة استعصت على محاولات التدجين الثقافي والسيطرة العسكرية طيلة العهد الاستعماري (عبد القادر حلوش, 2010, ص. 64)

3.3 المبحث الثالث : مشاركة الجزائريين في المدارس المختلطة - بين الاكراه والتكيف

يتكامل هذا المبحث مع سابقيه في رسم صورة شاملة لنتائج السياسة التعليمية الفرنسية، غير أنه ينزل إلى مستوى أكثر خصوصية وتفصيلاً، هو مستوى التجربة الفعلية للجزائريين داخل فضاء تعليمي مشترك بينهم وبين المعمرين الأوروبيين. فإذا كان المبحث السابق قد كشف الفوارق البنيوية بين المنظومتين التعليميتين، فإن هذا المبحث يضع المجهر على التفاعل الإنساني الميداني داخل المدارس التي جمعت المتعلمين من أصول مختلفة، ويتساءل: ما طبيعة هذه المشاركة؟ وما دوافعها وعوائقها؟ وما انعكاساتها على الجزائريين أنفسهم؟

1.3.3 المطلب الاول :شبكة التعليم الاصيل كاستراتيجية مقاومة

في مقابل المنظومة التعليمية الاستعمارية، واصل المجتمع الجزائري دعم شبكة التعليم التقليدية. يرصد ديبون وكوبولاني في إحصاء عام 1884 وجود ما لا يقل عن 23 طريقة صوفية تضطلع بدور في التعليم وتكوين الأجيال، كما حافظت العائلات العلمية البارزة كآل العنابي والسكلاوي وعائلة الأمير عبد القادر على إدارة المساجد الكبرى وضمان استمرارية

التعليم العالي فيها.

وقد ذهبت بعض العائلات في مقاومتها للمدرسة الفرنسية حد تفضيل الهجرة إلى تونس والمغرب لضمان تعليم أبنائها في بيئة عربية إسلامية (رفيقة قريشي و عائشة خامد, 2020, ص. 12-17)

2.3.3 المطلب الثاني :المذارس المختلطة - الدوافع والعوائق وديناميكات الاقبال

المدارس المزدوجة -المختلطة- :

شهدت نهاية القرن التاسع عشر، وتحديداً مع اقتراب عام 1900م، تحولاً جذرياً ومفصلياً. في استراتيجية السياسة التعليمية الاستعمارية في الجزائر؛ فبعد عقود من الرفض القاطع لمبدأ تعليم الجزائريين (الأهالي)، اضطرت الإدارة الاستعمارية تحت وطأة الضغوط المتزايدة للرأي العام الفرنسي وتغير الظروف السياسية المحيطة إلى التراجع عن موقفها المتصلب وقبول تعليمهم كأمر واقع تفرضه ضرورة الحفاظ على استمرارية السيطرة الاستعمارية وتكييفها مع المعطيات الجديدة للفترة المدروسة. وقد تجسد هذا التحول في ظهور المدارس المزدوجة (المختلطة)، التي كانت وضعيتها القانونية تعكس تكريساً لنظام التمييز، حيث عومل الطلاب الجزائريون فيها كـ "رعايا" خاضعين للسلطة وليس كمواطنين يتمتعون بحقوق كاملة. وبالرغم من كون هذه الخطوة استجابة لضغوط خارجية، إلا أنها واجهت معارضة شرسة ومستمرة من قبل المستوطنين (الكولون)، الذين رأوا في تعليم الجزائريين خطراً وجودياً يهدد امتيازاتهم ومستقبل السيطرة الفرنسية على البلاد، خشية أن يؤدي الوعي التعليمي إلى المطالبة بالحقوق والتحرر(رفيقة قريشي و عائشة خامد, 2020, ص. 18)

مشاركة الجزائريين في المدارس المختلطة -المزدوجة- :

شكل اقتراب القرن العشرين مرحلةً جديدةً في علاقة الجزائريين بالتعليم الرسمي، إذ توسعت شبكة المدارس الابتدائية المزدوجة لتشمل نحو 228 مدرسة و427 قسماً. غير أن هذا التوسع لم يكن ثمرة إرادة استعمارية في تعليم الجزائريين، بل نتيجة ضغوط سياسية متراكمة من الرأي العام الفرنسي ومن النخب الجزائرية الصاعدة

قابل المستوطنون الأوروبيون (الكولون) هذا التوجه بمعارضة شرسة، معتبرين أن تعليم الجزائريين سيُفضي حتماً إلى وعي سياسي يُهدد هيمنتهم، في المقابل رأت النخبة الجزائرية الناشئة من محاميين وقضاة مترجمين في هذه المدارس فرصة لانتزاع حقوق مغتصبة. في المقابل، وميدانا للمطالبة بتطبيق التعليم الإلزامي على الأهالي(أحمد الخطيب, 1986, ص. 61)

3.3.3 المطلب الثالث : اثر المدارس المختلطة في تكوين النخبة وتشكيل الوعي الوطني

أسهمت المدارس المختلطة في تكوين نخبة مثقفة ذات تكوين مزدوج، تستوعب الثقافة الفرنسية من الداخل، لكنها تحمل في الوقت ذاته تجربة التمييز والإقصاء التي عاشتها داخل هذه المدارس وفي سوق العمل لاحقاً. وقد وفرت هذه التجربة الازدواجية أرضية خصبة لتشكل وعي وطني يُفصح عن نفسه في مطلع القرن العشرين.(أبو القاسم سعد الله, 1994, ص. 65)

وإلى جانب هذا الحراك النخبوي، جسد الشعراء الشعبيون كعبد القادر الوهراني ومحمد بلخير صوتاً وطنياً موازياً، حول الشعر الشعبي إلى وسيلة لتوثيق التجربة الجماعية والحفاظ على الوجدان الهوياتي في مستويات المجتمع غير الواصل إليها من قبل التعليم الرسمي(أبو القاسم سعد الله, 1994, ص. 66)

4.3 المبحث الرابع :المؤسسات المسيحية وموقعها في الحياة الإجتماعية للأهالي

في ختام هذا المبحث وهذا الفصل معاً، ندير الدفة نحو نتيجة غير متوقعة وبالغة الدلالة: فرغم أن المؤسسات المسيحية كانت تهدف إلى اختراق المجتمع الجزائري وتذويب هويته، فإن الوقائع تكشف أن حضورها أنتج في جزء منه تأثيراً معاكساً تماماً. هذا الجدل المفارق بين المقصود والحاصل يشكل ختاماً حيوياً لهذا الفصل.

في مفارقة تاريخية لافتة، أسهمت المؤسسات الدينية المسيحية - رغم أهدافها الاستيعابية الصريحة - في تعزيز الوعي المقاوم الجزائري بصورة غير مباشرة وإن لم تكن ذلك من بين نواياها. فالوجود المكثف لهذه المؤسسات ومحاولاتها التبشيرية دفعت العلماء والزعماء الدينيين الجزائريين إلى تكثيف جهودهم في التعليم والتوعية والدعوة، كردة فعل وقائية طبيعية. فكانت الزاوية التي تجاور كنيسة أو مدرسة تبشيرية تستجمع طاقاتها وتضاعف نشاطها، وكان الأهالي الذين يشهدون هذا الوجود الديني الأجنبي يعمقون انتماءهم الإسلامي دفاعاً عن هويتهم. (فرحاني عادل, د.س, ص. 3--5)

كما أن احتكاك بعض الجزائريين بالمؤسسات المسيحية - ولو من موقع الرفض أو الحذر - أعطاهم قدراً من المعرفة بالآخر وبأساليب عمله، وهو ما أفاد قادة الحركات الوطنية لاحقاً في صياغة خطاب مقاوم أكثر نضجاً وفاعلية. فكانت المؤسسة المسيحية في بعض جوانبها مرآة أحدثت صحوة هوياتية لم تكن في الحسبان، وهو درس بالغ الأهمية في فهم الديناميكيات الثقافية المعقدة لحقبة الاستعمار الفرنسي للجزائر.

1.4.3 المطلب الأول : المؤسسة الكنيسة في المنظومة الاستعمارية

لم تكن المؤسسات المسيحية في الجزائر منفصلة عن المشروع الاستعماري، بل كانت مكوناً فاعلاً في منظومته، يُشاركها في الأهداف بعيدة المدى وإن اختلفت عنها في الأدوات والأساليب. وقد تجلى ذلك في سياسة إحلال الكنيسة محل المسجد في الفضاء العام، مع ما رافق ذلك من تحويل عدد من المساجد كجامع كتشاوة إلى كنائس، وفي توظيف التعليم التبشيري غطاءً لأجندة تنصيرية صريحة. (فرحاني عادل, د.س, ص. 2)

وتكشف تصريحات بعض القادة العسكريين الفرنسيين، كالجنرال ديبرمون، عن إدراك صريح للتحالف الوظيفي بين الإدارة الإستعمارية والمؤسسة الكنيسة. (عمار هلال, 2016, ص. 51)

2.4.3 المطلب الثاني : استراتيجية الإرساليات وتمايزاتها الإثنوغرافية

كان الهدف المحوري للمنصرين والمؤسسات المسيحية هو تحقيق "تغيير جذري" في المجتمع. لم يكن الهدف مجرد تغيير العقيدة، بل صناعة جيل جديد ينسلخ تماماً عن ماضيه الإسلامي وعروبته، بحيث يذوب هذا الجيل روحياً في الثقافة الفرنسية النصرانية. وقد تلقى المنصرون لتحقيق هذا المسعى تأييداً مادياً ومعنوياً كاملاً من سلطة الاحتلال.

الاستراتيجة الممنهجة للنشاط التنصيري في الجزائر - :

اعتمدت الإرساليات المسيحية، وفي مقدمتها "الآباء البيض" التي أسسها الكاردينال لافيجري عام 1872، منهجاً إثنوغرافياً في اختيار مناطق انتشارها؛ إذ ركزت على المناطق ذات التنوع اللساني والثقافي كمنطقة القبائل والأوراس والجنوب الصحراوي، مستثمرة الاختلافات الأمازيغية في محاولة لفصل السكان عن محيطهم الإسلامي العربي (بوعافية

عيسى, 2026, ص. 9--10)، وعلى الرغم من الإمكانيات البشرية والمادية الضخمة التي رُصدت لهذا النشاط، اضطر المنصرون أنفسهم إلى الإقرار بمحدودية نتائجهم أمام تجذر الإسلام في الوجدان الجزائري. ولعل أكثر ما يدل على ذلك تجربة الرحالة شارل دو فوكو

" وُلد في 15 سبتمبر 1858، في مدينة ستراسبوغ، زار عدة بلدان في حملته التبشيرية منها المغرب الأقصى وبقي طويلاً في منطقة تيدكلت والمليعة في الجنوب الجزائري، لكنه لم يفلح في تنصير المسلمين، فانتقل سنة 1905 إلى تمنراست، وأسّس الإخوان الزرق (حتى يتلاءم مع لباس الطوارق)، وألّف كتبًا في الدين واللغة والتاريخ."

الذي قضى قرابة اثنا عشر عاما في تمنراست بين الطوارق 1905-1916 دون ان يفلح في تحقيق اي تحول ديني لافت (فاطمة الزهراء سليمي, 2012-2013, ص. 171)

3.4.3 المطلب الثالث : التوترات الداخلية في المنظومة الاستعماري -الكنيسة-

1. الغطاء الإنساني كمدخل للتنصير (الأيتام والفقراء) :

ركزت المؤسسات المسيحية في بداياتها على استغلال الأزمات الاجتماعية لترسيخ وجودها. فقد اتخذت من رعاية الأيتام والمعوزين وسيلة لفرض التعليم التبشيري قسراً، حيث قُدمت الخدمات الإنسانية (كالإطعام والإيواء) كمظلة لتمرير العقيدة المسيحية، خاصة في المراحل التي تعذر فيها استقطاب الجزائريين طواعية.(محمد الطاهر وعلي, 2013, ص. 104)

2. التحالف العسكري-الديني لإخضاع النفوس :

لم تكن المؤسسات المسيحية كيانات منفصلة عن آلة الحرب الاستعمارية، بل كان هناك تحالف استراتيجي بين "السيف والصليب". فبينما كان الجيش يخضع الأجساد بقوة السلاح، كانت الكنائس والمؤسسات الدينية (مثل طائفة "الإخوة لاتراب") تعمل على "استمالة القلوب" وإتمام عملية الإخضاع المعنوي والروحي للأهالي تحت شعار "نشر الحضارة".(مصطفى الأشرف, 2007, ص. 275)

3.المدارس التبشيرية ومحاولات السلخ الثقافي

احتلت "المدرسة" موقعاً مركزياً وحيوياً في استراتيجية المؤسسات المسيحية، لا سيما لدى الآباء اليسوعيين والإرساليات البروتستانتية، حيث نُظر إليها كأداة اختراق ناعمة قادرة على فصل الأطفال عن جذورهم الهوياتية منذ الصغر. وقد اعتمدت هذه المدارس على استخدام التعليم كقناع شرعي وتدثره بغطاء تربوي لتمرير الأهداف التبشيرية بشكل غير مباشر، حيث كان يتم توجيه العملية التعليمية لتحفيظ التلاميذ نصوصاً إنجيلية وترانيم دينية بدلاً من التركيز على المناهج العلمية الرصينة. ولم تكتفِ هذه المؤسسات بالجانب التعليمي الصرف، بل عمدت إلى شن حرب نفسية وتاريخية عبر إيهام الأهالي والناشئة بأن المسيحية ليست ديناً دخيلاً، بل هي "دين الأجداد" الأصلي لشمال إفريقيا، في محاولة تضليلية للترغيب في العودة إليه وتصوير الإسلام كعنصر طارئ، وذلك بهدف زعزعة الثوابت الدينية والوطنية وتسهيل عملية الاندماج الكلي في المنظومة الثقافية للاحتلال.

4. المؤسسات التبشيرية كأداة للتفكيك الإجتماعي :

استغلت الحركة التبشيرية، بقيادة الكاردينال لافيجري، الأزمات الإنسانية الحادة التي عصفت بالجزائر عام 1876م من مجاعة، وقحط، وأوبئة لتنفيذ استراتيجية تهدف إلى مسخ الهوية الوطنية وتفكيك البنية الاجتماعية. وقد ارتكزت هذه

الخطة على اتخاذ المساعدات الإنسانية ستاراً لجمع الأيتام وإخضاع السكان لإغراءات مادية مقابل الانخراط في مشروعه "التنصيري"، الذي سعى لجعل الجزائر "فرنسا الجديدة" عبر إحياء الأمجاد الرومانية القديمة وتوسيع النفوذ الكنسي لما وراء الصحراء. ولتحقيق ذلك، أُسست جمعية "الآباء البيض" (عام 1872م) وجمعية "الأخوات البيض"، اللتان ركزتا نشاطهما التعليمي والتبشيري في مناطق كمنطقة القبائل (عبر مراكز مثل واضية، عزوز، وبيونوح)، مستخدمين أساليب الترغيب للأطفال كالألعاب والمال للتأثير على عائلاتهم، وذلك بغرض اختراق الأسرة الجزائرية وإدماجها قسرياً في المنظومة الاستعمارية، بعيداً عن دينهم ولغتهم العربية الأصيلة (محمد الطاهر وعلي, 2013, ص. 111--112)

1. الصدام مع المؤسسات الروحية الوطنية

واجهت المؤسسات المسيحية مقاومة شرسة من "المؤسسات الدينية المحلية". فقد كان للتغلغل الإسلامي والنفوذ الروحي للطرق الصوفية دور حاسم في عرقلة نشاط هذه الإرساليات. ورغم الإمكانيات الضخمة، اعترف المنصرون بأن الإسلام ظل "العقبة القائمة" والحصن المنيع الذي حال دون نجاح المؤسسات المسيحية في تغيير عقيدة الأهالي.

2. الصدام الوظيفي بين التبشير والاستقرار الأمني الاستعماري

رصدت الوثائق الاستعمارية نفسها توتراً وظيفياً حاداً بين السلطات العسكرية وبعض الإرساليات التبشيرية؛ ففي عام 1881 أُغلقت بعض المدارس التبشيرية بقرار إداري، ليس انحيازاً للجزائريين، بل خشية من أن تُولد الممارسات التبشيرية المتطرفة ردود فعل شعبية تُهدد الاستقرار الأمني.

يكشف هذا التوتر عن إشكالية بنيوية في المشروع الاستعماري: التناقض بين منطق الهيمنة طويلة الأمد (الذي يستدعي تغيير الهوية الثقافية) ومنطق الضبط الأمني الآني (الذي يستوجب تجنب الاستفزاز المولد للمقاومة).

3. المؤسسات البروتستانتية والمنافسة المذهبية

إلى جانب المؤسسات الكاثوليكية، ظهرت مؤسسات مسيحية أخرى مثل "جمعية ميلد ماي" الإنجليزية (Mild May) التي أسست مدرسة في "جمعة الصهاريج" عام 1890. كان موقع هذه المؤسسات في حياة الأهالي مختلفاً قليلاً، حيث اصطدمت بالاستعمار الفرنسي نفسه نظراً لاختلاف المذهب (البروتستانتية ضد الكاثوليكية)؛ إلا أنها اشتركت مع البقية في تقديم محتوى تعليمي مستوحى من الكتاب المقدس، ومحاولة استغلال الأزمات الاجتماعية لترسيخ الوجود المسيحي في القرى والمناطق النائية (محمد الطاهر وعلي, 2013, ص. 143)

4.4.3 المطلب الرابع : المقاومة الجزائرية للسياسة التنصيرية-أشكالها وأدواتها-

واجه الجزائريون المشروع التنصيري بأشكال متنوعة من المقاومة، أبرزها المقاطعة الشعبية الصامتة لمؤسسات لافيجري، ورفض إرسال الأطفال إلى مدارسها حتى في فترات الشدة الاقتصادية، والتمسك بالكتاتيب القرآنية بديلاً حضارياً معرفياً. وقد وثّق الشيخ أبو اليقظان في صحيفة "وادي ميزاب" هذا الموقف الشعبي، ونبّه إلى الأساليب التي تستغل الهشاشة الاجتماعية في المناطق النائية.

غير أن الأثر الأكثر إيرونية في هذه الحقبة هو ما يمكن تسميته "الأثر الارتدادي" للنشاط التبشيري؛ إذ كان الوجود المكثف للإرساليات يدفع العلماء والزعماء الدينيين الجزائريين إلى مضاعفة نشاطهم التعليمي والتوعوي، فكانت القرية التي تشهد افتتاح مدرسة تبشيرية تُقابل بتكثيف حضور الزاوية وتنشيط حلقاتها. (يمينة بن رحال, 2023, ص. 72)

موقف النخبة الجزائرية (الشيخ أبو اليقظان) من هذه المؤسسات

يتمثل موقف الشيخ أبو اليقظان في كونه جبهة دفاعية صلبة فضحت الطبيعة الاستعمارية للمؤسسات المسيحية، حيث اعتبرها "قناعاً استعمارياً في ثوب كهنوتي" و"ساعداً أيمن" للاحتلال يهدف إلى تخدير وعي الأهالي وإفساد عقيدتهم عبر "سموم وغازات مخنقة" تترك المجتمع في حالة ذهول وضياع. وقد سخر قلمه وصحفه (لا سيما صحيفة وادي ميزاب) لفضح المخططات الجهنمية لـ "الآباء البيض"، محذراً من هذا "الوباء الفتاك" الذي يستغل الفقر والجهل في المناطق النائية، وداعياً الشعب الجزائري إلى رص الصفوف، والتمسك بالعلم الصحيح، والعودة الصادقة للقرآن الكريم كحصن منيع لمواجهة ألد أعداء الأمة والحفاظ على مقومات الشخصية الوطنية. (يمينة بن رحال, 2023, ص. 99-100)

خلص هذا الفصل الى جملة من النتائج يمكن اجكالها في ثلاثة محاور

أولاً: فشل الاستيعاب الثقافي المخطط له

على الرغم من الموارد الهائلة التي رُصدت للسياسة التعليمية الفرنسية، لم تُحقق هذه السياسة هدفها المعلن في "الدمج الحضاري". وتكشف المؤشرات المتاحة كتراجع الإقبال على المدارس الفرنسية، واستمرار الزوايا رغم ضغوط مصادرة الأوقاف، وفشل المشاريع التنصيرية، أن المجتمع الجزائري أبدى قدرة استثنائية على الحفاظ على هويته في ظروف استثنائية بالغة القسوة.

ثانياً: التناقضات الداخلية للمشروع الاستعماري

أظهر هذا الفصل أن السياسة التعليمية الاستعمارية لم تكن كتلة متجانسة؛ بل كانت مسكونة بتناقضات داخلية: بين الخطاب الرسمي (نشر التعليم) والممارسة الفعلية (سياسة التجهيل)، وبين إرادة الاستيعاب وضرورة الإبقاء على التمييز لتبرير الاستعمار، وبين الإدارة العسكرية والمدنية في تحديد أولويات التعليم.

ثالثاً: ديناميكيات غير متوقعة للمقاومة

أفرزت السياسة التعليمية الفرنسية نتائج عكسية لم تكن في الحسبان: تشكل نخبة مثقفة ذات وعي نقدي، وتعزيز التمسك بالهوية العربية الإسلامية، وتهيئة الشروط الفكرية لصعود الحركة الإصلاحية والوطنية في القرن العشرين. وهو ما يجعل من الفترة 1870-1900 لحظة تأسيسية لا يمكن فهم مسار الوطنية الجزائرية دون استيعاب أبعادها.

الخاتمة

في ختام دراسة موضوعنا الذي تناولنا فيه السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر 1830 - 1900 مع التركيز على المؤسسات الدينية المسيحية كنموذج ، توصلنا الى مجموعة من النتائج التي شكّلت واقع الجزائر الثقافي و الاجتماعي وهي:

لقد كانت الحياة الثقافية في الجزائر نهاية العهد العثماني مزدهرة و مستقرة على عكس ما حاولت بعض الروايات الاستعمارية الترويج له بأن البلاد كانت تعيش في "جهل مطبق"

عملت الكتاتيب والزوايا المنتشرة في القرى والأرياف على تحفيظ القرآن الكريم ومبادئ اللغة العربية بينما المساجد الكبرى والمدارس مثل جامع كتشاوة والجامع الكبير كانت بمثابة جامعات تدرس العلوم النقلية والعقلية.

حاول الاستعمار الفرنسي تجفيف منابع التعليم العربي الإسلامي من خلال مصادرة الأوقاف بهدف القضاء على هوية الجزائريين حتى يسهل عليها السيطرة عليهم حيث حاربت اللغة العربية واعتبرتها "لغة أجنبية"

هدفت السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر منذ الإحتلال 1830 وحتى عام 1870 (نهاية العهد العسكري وبداية العهد المدني) على محاربة الشخصية الوطنية والطمس الثقافي والقضاء على مقومات الأمة الجزائرية.

عملت على عزل الجزائريين عن تاريخهم من خلال استبدال المناهج التي تدرس تاريخ الحضارة الإسلامية بمناهج تمجد فرنسا الأم وتاريخها وإحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية ، جعلها هي أداة التواصل الوحيدة في الإدارات والمعاملات الرسمية.

حاولت خلق جيل من الجزائريين يشعر بالتبعية الثقافية لفرنسا وهو ما عرف لاحقا ب "سياسة الإدماج" من خلال إنتقاء فئة قليلة لتعليمهم تعليما بسيطا يهدف جعلهم أعوان للإدارة الاستعمارية كمترجمين و كتّاب وقياد.

إن السياسة التعليمية لم تكن بريئة ومحايدة بل كانت موجهة لخدمة أهداف استعمارية متعددة، حيث سعت إلى نشر اللغة والثقافة الفرنسية وإضعاف الهوية الوطنية الجزائرية، كما تبيّن أن المؤسسات الدينية المسيحية لعبت دوراً محورياً في دعم هذه السياسة من خلال التعليم التبشيري ومحاولة نشر القيم الدينية والثقافة الغربية داخل المجتمع الجزائري.

أظهرت الدراسة أن المؤسسات الإرسالية المسيحية لم تقتصر على الجانب التعليمي فقط بل كانت أداة فعّالة للتأثير الاجتماعي والثقافي مما ساهم في خلق الصراع بين الهوية المحلية والسياسة الاستعمارية المفروضة.

عملت السياسة التعليمية الفرنسية على فتح المجال للبعثات التبشيرية مثل "الآباء البيض" بقيادة الكاردينال لافيجرى لاحقا للعمل تحت غطاء التعليم والتمريض في المناطق النائية،لكن هدفها الحقيقي التنصير أو على الاقل الفرنسة من خلال ابعاد الأطفال عن محيطهم الإسلامي.

لعبت الزوايا دورا حاسما في إفشال التعليم التبشيري وذلك من خلال توعية الأهالي بمخاطر مدارس لافيجرى والآباء البيض حيث كانت تصدر الفتاوى التي تحرّم إرسال الأطفال لتلك المدارس، مما أدى إلى إفشال مخطط التبشير المغلف بالتعليم والصحة.

الملاحق



(Klim Félix, 1897, ص. 13)



من مظاهر الإدماج: زرع الكنائس وتغيير أسماء المدن،
خميس مليانة صارت Afferville

(بشير بلاح, 2006, ص. 284)



مدرسة "فرنسية-إسلامية" ببلاد القبائل 1900.

(بشير بلاح, 2006, ص. 286)



كنيسة "السيدة الافريقية"
شرع في بنائها بمبادرة من الأسقف بافي (Pavy) عام 1858

(بشير بلاح, 2006, ص. 289)



الكاردينال لافيجري يُؤوي أيتاما حاتمين تنصيرهم إبّان مجاعة 1867–1868
الرهيبة. وقد عادوا جميعا تقريبا إلى الإسلام بعد ذلك رغم كل الضغوط

(بشير بلاح, 2006, ص. 217)

قائمة المراجع

Notre Librairie historique, Épuisé .1930-1830 *chrétienne L'Algérie* .(1930) .Repetticci Chanoine Dame.

.*éléments ses Algérie*: *en religieuse situation La* .(1856) .Riancey Charles

EDIF .(1 (T. 1919-1871 *France la et musulmans Algériens Les* .(2000) .Ageron Charles-Robert .2000

.*d'Afrique Notre-Dame de Basilique La* .(1984) .Augustin F.

.*Algérie en œuvres ses et Lavigerie cardinal Le* .(1897) .Klim Félix

.*d'Afrique église nouvelle La* .(د.س) .(l'abbé-Léon) Gadart

.(1 (T. *Lavigerie Cardinal Le* .(1886) .Baunard George

d'histoire Institut .*contemporaine France la dans religieux monde du Dictionnaire* .(د.س) .M de Xavier christianisme. du

religion médecines, écoles, coloniale: *l'Algérie dans culturels Affrontements* .(1971) .Turin Yvonne Paris. .1880-1830

أبو الحسن الندوي. (1984). الإمام عبد القادر الجيلاني (ط. 2). المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع.

أبو القاسم سعد الله. (1982). محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال (ط. 3). الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

أبو القاسم سعد الله. (1990). رائد التجديد الإسلامي: محمد بن العنابي. دار الغرب الإسلامي.

أبو القاسم سعد الله. (1994). الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930 [ط 4. ج 2]. دار الغرب الإسلامي.

أبو القاسم سعد الله. .(1998a) تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830 [ج 1، ط 1]. دار الغرب الإسلامي.

أبو القاسم سعد الله. .(1998b) تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830 [ج 1، ط 1]. دار الغرب الإسلامي.

أبو القاسم سعد الله. .(1998c) تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830 [ج 3]. دار الغرب الإسلامي.

أبو القاسم سعد الله. .(1998d) تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954 [ج 3، ط 1]. دار الغرب الإسلامي.

أبو القاسم سعد الله. .(1998e) تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954 [ج 6]. دار الغرب الإسلامي.

أبو القاسم سعد الله. (2008). مخبر التاريخ والجغرافيا [ع 2]. مجلة حوليات مخبر التاريخ والجغرافيا.

أبو القاسم سعد الله. (2009). محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال. عالم المعرفة للنشر والتوزيع.

أبو القاسم سعد الله. (2011). خلاصة تاريخ الجزائر: المقاومة والتحرير. د.م.ن.
أبو بكر الصديق حميدي. (2015). دراسات وأعلام في الحركة الإصلاحية الجزائرية. دار المتعلم للنشر والتعليم.
أحمد الأزمي. (2000). الطريقة التيجانية في المغرب والسودان العربي. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة العربية.
أحمد الخطيب. (1986). حزب الشعب الجزائري [ج 1]. دار المعرفة.
أحمد عاشور. (2017). الطريقة الصوفية: مفاهيمها وملامحها [ع 1]. مجلة السواقة للدراسات الإنسانية والاجتماعية.
أحمد مهساس. (1985). التعليم والثقافة في الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية. مجلة الثقافة, (ع 85).
أحمد نبيل بلاسي. (1990). الاتجاه العربي الإسلامي ودوره في تحرير الجزائر. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
أحميدة عميراوي. (2005). قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث. دار الهدى.
أحميدة عميراوي وآخرون . (2009). السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916. دار الهدى.
أسعد عليوان. (2007). أوقاف الجزائر في العهد العثماني ومساهمتها الاجتماعية والثقافية [م 9، ع 1]. مجلة الإحياء.
أشرف صالح محمد سيد. (2013). المراكز الثقافية في دار السلطان اواخر العصر التركي الجزائر [ج 4، ع 7]. مجلة آمارباك.
الطاهر زرهوني. (1993). التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال (ط. 1). المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.
العربي شودار. (2024). الوضع الثقافي في الجزائر بداية الاحتلال الفرنسي 1830-1871 [مذكرة ماستر]. جامعة محمد بوضياف بالمسيلة [إشراف: كمال بيوم].
بشير بلاح. (2006). تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989 [ج 1]. دار المعرفة.
بلحيداس خديجة. (2018). مظاهر السياسة التعليمية في الجزائر خلال فترة 1830 - 1962. مجلة جبل الدراسات الأدبية والفكرية, (العدد 5).
بن تيزي ميلود. (2019). دور الزوايا والنوادي والجمعيات في مواجهة المستعمر الفرنسي في الغرب الجزائري 1900-1954. المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية, 10(2).
بوضرساية بوعزة. (2010). سياسة فرنسا البربرية في الجزائر 1830-1930 وانعكاساتها على المغرب العربي. دار الحكمة للنشر.
بوعافية عيسى. (2026). التنصير والاستعمار الاستيطاني في الجزائر 1830–1890 [Preprint, ResearchGate]. https://doi.org/10.13140/RG.2.2.30466.34244
بوجقاني أحمد, خ. و. س. و. (2007). منطلقات وأسس الحركة الوطنية 1830-1854. مركز البحث في الحركة الوطنية والتاريخ.
تركي رابح. (1984). الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر. المؤسسة الوطنية للكتاب.
تركي رابح عمامرة. (2001). الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر (ط. 5).
جمال قنان. (2009). التعليم الأهلي في الجزائر في عهد 1830-1944. دار هومة.
حمدان بن عثمان خوجة. (1985). المرآة [ترجمة: محمد العربي الزبيري]. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
حميد آيت حبوش. (2017). واقع التعليم في الجزائر أواخر العهد العثماني [العدد 37 جامعة ابي بكر بلقايد . تلمسان]. كان التاريخية.

حميد قريتلي. (2013). أضواء على التنصير والمنصرين في الجزائر 1830-1930 [م 14، ع 2]. مجلة الدراسات التاريخية.
خديجة بقطاش. (2007). الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871. منشورات دحلب.
خير الدين بن ترزي. (2013). التعليم في الجزائر خلال فترة الاحتلال [م 4، ع 7]. حوليات التاريخ والجغرافيا.
دبي رابح. (2011). السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر ودور جمعية العلماء المسلمين في الرد عليها 1830-1962 الجزائر
thèse 02] de [.doct [دراسة تحليلية نظرية . اطروحة دكتوراة في علوم التربية .اشراف الطيب بلعربي].
دبي رابح. (2002-2003). الأهداف التربوية للتعليم الفرنسي في الجزائر 1830-1900 [رسالة ماجستير في علوم التربية].
جامعة الجزائر [إشراف: دوقة أحمد، قسم علم النفس وعلوم التربية].
رابح تركي. (1975). التعليم القومي والشخصية الوطنية 1931-1956: دراسة تربوية للشخصية الجزائرية. الشركة الوطنية
للنشر والتوزيع.
رشيد مياد. (2022). السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر ورد فعل الجزائريين تجاهها 1830-1954. (1).
رفيقة قريشي و عائشة خامد. (2020). السياسة التعليمية في الجزائر وأثرها في تكوين النخبة. مجلة إضاءات علمية, 1(2),
12-17.
سعاد الحداد. (2012). دور الزوايا في مقاومة الاحتلال الفرنسي. المصادر, 14(2).
سعيدي مزيان. (2000). النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري في الجزائر وأساليب المواجهة الجزائرية له 1867-1892
[ج 1]. دار سيدي الخير للكتاب.
سمير أبيش. (2017). أهداف وخصائص السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر [مجلد 5 .العدد 3]. مجلة الدراسات
والبحوث الاجتماعية.
سيلي مقران. (2012). الحركة الدينية الإصلاحية في منطقة القبائل 1920-1945 [ط 2]. دار الأمل.
شارل روبير أجيرون. (1982). تاريخ الجزائر المعاصرة [ط 1، تر. عيسى عصفور]. منشورات عويدات.
شعوب كامل نصيف. (2017). حركة التبشير الفرنسية في الجزائر 1830-1892 [م 45]. حوليات آداب عين شمس.
شلفوم أسماء. (2010). دفن محمد القاضي. مجلة البحوث التاريخية, (1), 536.
صالح فركوس. (2013). تاريخ الثقافة الجزائرية من العهد الفنيقي إلى غاية الاستقلال .T) 1).
صالح مؤيد العقبي. (2002). الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر: تاريخها ونشأتها. دار البراق.
صبيحة بخوش. (2008). وضعية التعليم في الجزائر في العهد العثماني [م1.ع2]. مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا.
صلاح الدين العقبي. .s) .(.d الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر: تاريخها ونشاطها [ج 1].
عبد الجليل سافني. (2021). دور الزاوية القادرية في مقاومة الاستعمار الفرنسي بالجزائر [م 3، ع 1]. الأكاديمية للبحوث
في العلوم الاجتماعية.
عبد الحميد زوزو. (2009). نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900. المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.
عبد الحميد زوزو. (2011). ثورة الأوراس 1879. المؤسسة الوطنية للكتاب.
عبد الرحمن الجيلالي. (1994). تاريخ الجزائر العام [ج 3، ط 2]. ديوان المطبوعات الجامعية.
عبد العزيز شهبي. (2007). الزوايا والطرق الصوفية والغزباء والاحتلال الفرنسي. دار الغرب للنشر والتوزيع.
عبد القادر بوحيسون. (2025). الوجه الخفي للتعليم الاستعماري الفرنسي في الجزائر. مجلة المستشار, (ع 2).

عبد القادر حلوش. (2010). سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر (ط. 1). دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع.
عبد القادر عثماني. (2002). الشيخ سيد أحمد بن عبد الرحمن الأزهري. مجلة منبر الإمام مالك, (ع 4).
عبيد جلالي و بن نعماني سيد أحمد. (2022). الحضور الجهادي للطريقة الرحمانية في مقاومة الاحتلال الفرنسي 1830-1962 [م 24، ع 2]. مجلة التاريخ والدراسات.
عثمان سعدي. (2010). الجزائر في التاريخ المعاصر 1830-1962. ديوان المطبوعات الجامعية.
علي محمد محمد الصلابي. (2015). كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر: تاريخ الجزائر لما قبل الحرب العالمية الأولى. دار المعرفة.
علي مراد. (2007). الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر: بحث في التاريخ الديني والاجتماعي 1925-1940 (محمد يحياتن, .(.Trad دار الحكمة.
عمار بوحوش. (1997). التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962. دار الغرب الإسلامي.
عمار هلال. (2016). أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1962 (2e .(éd. ديوان المطبوعات الجامعية.
فارس مسدور. (2008). التجربة الجزائرية في إدارة الأوقاف التاريخ والحضر والمستقبل. مجلة الأوقاف.
فاطمة الزهراء سليمي. (2008). الحركة التبشيرية في الجزائر: قراءة سوسيولوجية تاريخية للظاهرة [م 7، ع 13]. مجلة.
فاطمة الزهراء سليمي. (2012-2013). نشاط الحركة التبشيرية في الجزائر [أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع]. جامعة الجزائر [إشراف: جمال معتوق، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع].
فرحاني عادل. (د.س). سياسة الاحتلال الفرنسي تجاه المؤسسات الدينية الإسلامية في الجزائر: مؤسسة القضاء الإسلامي أنموذجاً. أعمال الملتقى الدولي: البحر الأبيض المتوسط مجال التنافس بين الإسلام والمسيحية عبر التاريخ.
فريد حاجي. (2013). السياسة الثقافية في الجزائر: المنطلق، السيرورة، المآل 1837-1937. دار الخلدونية.
كميلية حاجي. (2012-2013). المؤسسات التعليمية الفرنسية بالجزائر 1850م-1954م [مذكرة ماستر في التاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر]. جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان.
لونيسي رابح. (2007). تاريخ الجزائر المعاصر 1830 - 1989 [ج 1، ط 1]. دار المعرفة.
محمد الأمين بوحلوفة و سفيان شبيرة. (2019). انتهاكات الاستعمار للمؤسسات الوقفية في الجزائر [مجلد 1. العدد1]. المجلة الأكاديمية للبحوث في العلوم الاجتماعية.
محمد الطاهر وعلي. (2009). التعليم التبشيري في الجزائر 1830-1904. المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.
محمد الطاهر وعلي. (2013). التعليم التبشيري في الجزائر 1830-1904: دراسة تاريخية تحليلية. منشورات دحلب.
محمد الطمار. (2007). الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج. ديوان المطبوعات الجامعية.
محمد الطيب العلوي. (1994). مظاهر المقاومة الجزائرية 1830-1954. المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار.
محمد المختار اسكندر. (1994). الحركة الوطنية ما بين 1920-1954. مجلة التراث, (7), 20.
مختاري الطيب. (2017). لجان التحقيق الاستعمارية في الجزائر وردود الفعل الوطنية تجاهها 1833-1891 [أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر]. المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة.

مداني حسين. (2012-2013). التعليم الرسمي في الجزائر 1884-1914: الغرب الجزائري أنموذجاً [مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر]. جامعة وهران [تخصص التاريخ الثقافي والتربوي للجزائر (1830-1954)، إشراف بوشيخي الشيخ، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية].

مرابطي رفيقة ومحمد مرغيث. (2022). الهوية الجزائرية من منظور الطريقة التيجانية 1830-1962 [م 2، ع 2]. مجلة عصور.

مصطفى الأشرف. (2007). الجزائر: الأمة والمجتمع (حنيفي بن عيسى, .(.Trad دار القصبة.

منصور دقاوي. (2014-2015). الموروث الثقافي بين القرنين [مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر]. جامعة أحمد بن بلة وهران [إشراف: دحور فغور، كلية العلوم الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار].

مولود قرين. (2013). عمر بن قدور ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية 1886-1932 .T) 2). دار الخليل.

ناصر الدين سعيدوني. (2012). النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني 1792-1830 [ط 3]. البصائر الجديدة للنشر والتوزيع.

يمينة بن رحال. (2023). اهتمامات جريدة وادي ميزاب اليقظانية بقضية التبشير وسياسة التنصير في الجزائر [المجلد27.العدد2]. مجلة المعيار.

الفهرس

المقدمة **6**

1 الأوضاع الثقافية في الجزائر بداية الإحتلال الفرنسي **11**

1.1 المبحث الاول: واقع النشاط الثقافي قبل الإحتلال الفرنسي 11

1.1.1 المطلب الاول: التعليم والمراكز الثقافية 11

1.1.2 المطلب الثاني: المؤسسات الوقفية 13

1.1.3 المطلب الثالث: المكتبات 15

1.2 االمبحث الثاني: واقع النشاط الثقافي خلال فترة المقاومات الشعبية 17

1.2.1 المطلب الأول: وضعية التعليم العربي التقليدي خلال فترة المقاومات الشعبية 17

1.2.2 المطلب الثاني: الدور التعليمي للطرق الصوفية 20

2 السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر 1870-1830 **25**

2.1 المبحث الاول : اهداف السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر 25

2.1.1 المطلب الأول: مفهوم السياسة التعليمية 25

2.1.2 المطلب الثاني : اهداف السياسة التعليمية 26

2.2 المبحث الثاني: المؤسسات التعليمية الفرنسية في الجزائر 29

2.2.1 المطلب الأول: المدارس العربية الفرنسية 29

2.2.2 المطلب الثاني: المعاهد الفرنسية 30

2.2.3 المطلب الثالث: المدارس الشرعية الثلاث 32

2.3 المبحث الثالث: المؤسسات الدينية المسيحية في الجزائر 34

2.3.1 المطلب الأول: تأسيس الأسقفيات بالجزائر والجمعيات التنصيرية 34

2.3.2 المطلب الثاني: التنصير في عهد الكاردينال لافيجري 39

3 نتائج السياسة التعليمية الفرنسية 1900-1870 **44**

3.1 المبحث الأول: الزوايا بين وظائف التعليم وديناميكيات المقاومة الثقافية 44

3.1.1 المطلب الأول: الوظيفة التعليمية للزوايا وحجمها المؤسسي 44

3.1.2 المطلب الثاني: الوظيفة القضائية والاجتماعية للزوايا 45

3.1.3 المطلب الثالث : الزوايا والادوار المسلحة - الادوار والحدود 46
3.1.4 المطلب الرابع: الزوايا وصون الهوية -اثر استراتيجي بعيد المدى - 47
3.2 المبحث الثاني : البنية التعليمية الفرنسية -الاهداف والفوارق الهيكلية-..... 48
3.2.1 المطلب الاول: المنظومة التعليمية ما قبل الاحتلال 48
3.2.2 المطلب الثاني: البنية التعليمية الفرنسية واهدافها المعلنة والضمنية 49
3.2.3 المطلب الثالث: الانتقال من الاشراف العسكري الى المدني واثره في التعليم 49
3.2.4 المطلب الرابع : التجنيس بوصفه الية هوياتية وليس إجراء قانونيا 50
3.2.5 المطلب الخامس : انعكاسات الثنائية التعليمية على المحتمع الجزائري 50
3.2.6 المطلب السادس :نتائج السياسة التعليمية الفرنسية 51
3.3 المبحث الثالث : مشاركة الجزائريين في المدارس المختلطة - بين الاكراه والتكيف 52
3.3.1 المطلب الاول :شبكة التعليم الاصيل كاستراتيجية مقاومة 52
3.3.2 المطلب الثاني :المذارس المختلطة - الدوافع والعوائق وديناميكات الاقبال 53
3.3.3 المطلب الثالث : اثر المدارس المختلطة في تكوين النخبة وتشكيل الوعي الوطني 53
3.4 المبحث الرابع :المؤسسات المسيحية وموقعها في الحياة الإجتماعية للأهالي 54
3.4.1 المطلب الأول : المؤسسة الكنيسة في المنظومة الاستعمارية 54
3.4.2 المطلب الثاني : استراتيجية الإرساليات وتمايزاتها الإثنوغرافية 54
3.4.3 المطلب الثالث : التوترات الداخلية في المنظومة الاستعماري -الكنيسة- 55
3.4.4 المطلب الرابع : المقاومة الجزائرية للسياسة التنصيرية-أشكالها وأدواتها- 56

الخاتمة **58**

الملاحق **59**

قائمة المراجع **64**